قرافات مصر بين المأهول والمخطوط

(دراسة وثائقية حضارية) •

في ضوء رسالة ابن السفطي (فوايد في ذكر جبل مصر المقطم)

د /ممدوح محمد السيد حسنين

مدرس الفنون والآثار الإسلامية بكلية الآثار – جامعة أسوان بجمهورية مصر العربية

ملخص البحث:

يهدف البحث (قرافات مصر بين المأهول والمخطوط دراسة وثائقية حضارية) إلي تحقيق وتحليل رسالة ضمن مخطوط عيسي بن عيسي الصفطي الموسومة (فوايد في ذكر جبل مصر المقطم) والذي ربما ينشر لأول مرة ، ولقد حاولت الدراسة وضع مفهوم وتعريف محدد وجديد لدراسة وتحليل علم المخطوطات عبر أنثرة المخطوط ، وهو إسقاط مقصود وتشبيه لما يجب أن يكون عند دراسة المخطوط من كافة جوانبه مثلما يحدث بعلم الأنثربولوجي المهتم بدراسة كل ما هو مختص بالإنسان ، وهو ما تم تطبيقه في هذا البحث عند دراسة المخطوط محل الدراسة ، وعليه تم استخلاص كافة المعلومات الواردة بالمخطوط وكافة الإشارات الحضارية والسياسية والاجتماعية والدينية والثقافية ، إلي جانب الدراسة البيئية والجغرافية وغيرها ، لبيان مدي أثر كتابات وأقوال المؤرخين علي التطور العمراني لقباب الأضرحة المنتشرة بقرافات مصر .

Abstract:

This Research aim to Achieve and analysis The Manuscript of Eisa AL Safati which named (Benefits of ALMuqattam Mountain in Egypt) “Documentary & Civilizational Study”– maybe publish for first time, It`s try to puts a new Specific Definition for Manuscriptology, through likening it as Anthropology Science which interest by Human Studies, It`s seem to be intended projection to Application on this Manuscript by extrapolating and concluding all signals and Information incoming in this manuscript, as Civilizational, Political, Social, Religious, Cultural, Environmental, Geography, etc. To know how the Sayings of Historians and Jurists had effected in the Development of Constructional for Mausoleums Domes in Graveyards of Egypt. So I named this Article (Graveyard of Egypt among Inhabited and Manuscript)

أولاً : المقدمة :

لا شك أن لكتابات المؤرخين القدامي أبلغ الأثر في توجيه عقول الكثيرين من عامة الشعب ما تسبب معه في تبني أفكار وظواهر سياسية أو اجتماعية أو عمرانية أو غيرها ، بعضها قد يكون إيجابياً والآخر قد يتخذ منحي سلبيًا ، ونجد من الصعوبة بمكان تغييرها أو حتي محاولة الاقتراب منها في الاتجاه المعاكس ، فالأمر في حاجة إلي إرادة قوية واعية للقضاء علي مثل تلك الظواهر ومكافحتها ، التي من شأنها الإساءة إلي تراثنا العظيم .

ولقد هالني ما وصلت إليه التعديات علي قرافات مصر وعلي آثارنا الإسلامية والتي بلغت حدًّا يُرثي له ، وطالت – للأسف – عمائرنا النفيسة من تلك المقابر وأضرحتها دون مراعاة لحرمة ساكنيها ، أو علي الأقل التأسي بتعاليم سيدنا محمد (ص) من احترام قدسيتها ، وكان لانتشار تلك المقابر بسفح المقطم أسبابه التي وردت بكتب ومخطوطات المؤرخين ما كان له أكبر الأثر في انتشار مثل هذه الظاهرة أو تلك وأثره علي التطور العمراني لتلك المقابر بهذه الصورة الكثيفة ، لكن أن يكون لمثل تلك التعديات

• ورقة بحث مقدمة للمؤتمر الدولي السابع " البحث العلمي والمخطوطات ودورهما في البناء الحضاري " ، المقام في اسطنبول بتركيا في الفترة من 4 إلي 6 ديسمبر 2015 م ، تحت إشراف اتحاد الجامعات الدولي بالتعاون مع جامعة أريس الدولية .

DOI:10.12816/0036612

الصارخة وتوغلها أثرها وصداها وإرهاصاتها التاريخية المتجذرة ، فهذا ما لم أكن أتوقعه ، وهو ما لمسته في هذا المخطوط ، وغيره من المؤلفات المحققة .

ومن أشهر تلك الجبانات التي تقبع بسفح جبل المقطم ، جبانة التونسي ، جبانة الصدقة ، الإمام الليث ، جبانة سيدي الشاطبي ، جبانة سيدي علي أبو الوفا ، مقابر المماليك ، جبانة باب الوزير ، جبانة باب النصر ، جبانة الغفير ، جبانة المجاورين ، جبانة قايتباي ، جبانة المسلمين ، جبانة القرافة الشرقية ، جبانة السيدة نفيسة ، جبانة سيدي عمر بن الفارض ، وجبانة الإمام الشافعي ، وغيرها الكثير والكثير مما تمتليء بهم القرافتين الصغري والكبري .

وكان لعملي بمدينة الفسطاط الأثرية بما تحويه من آثار بالقرافة الكبري وكذا قربها من منطقة الإمام الشافعي بمقابرها وآثارها الفريدة ، وكذا دراستي لبعض المشاهد الفاطمية الموجودة بجبانة الإمام الشافعي أثناء دراستي للماجستير ، أبلغ الأثر في احتكاكي – وعن قرب – بالحالة المزرية التي وصلت إليها حال تلك المقابر والمدافن المنتشرة بتلك الجبانة .

لذا كانت مقابر منطقة الإمام الشافعي بالقرافة الصغري نموذجاً مقتطفاً ومثالاً مصغراً لدراسة تلك الظاهرة التي انتشرت بكل جبانات وقرافات مصر ، تأكيداً لما ورد بمخطوط السفطي محل الدراسة الحالية ، والموسوم بـ " فوايد في ذكر جبل مصر المقطم "

ثانياً : وصف المخطوط :

الرسالة ضمن مخطوط مكون من مجموعة من الرسائل تعد هي السابعة عشر منها * ، محفوظ بالمكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف المصرية ، رقمه العام 3340 ، ورقمه الأصلي 250 ، وقياسها 21.5 × 16 ، عدد سطورها الصفحة الأولي والثالثة 35 سطراً ، في حين جاءت الصفحة الثانية في 32 سطراً ، متوسط عدد الكلمات بالسطر الواحد 14 كلمة ، النص مسجل علي ورق – بات لونه مائل للاصفرار – بالخط المعتاد بالمداد الأسود داخل إطار خارجي من اللون الأحمر .

ولقد نقل الناسخ رسالته عن جلال الدين السيوطي في كتابه المسمي بحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، والذي نقل بدوره عن كل من بن عبد الحكم والكندي وابن الرفعة وابن الحاج في مدخله كما سنري ، كما لم يستخدم الناسخ علامات الترقيم أو الشكل ، فيما عدا علامة الوقف (∴) عند بداية كل رسالة داخل المخطوط ونهايتها ، حيث بدأ بوضع علامة الوقف المذكورة ثم كتابة عنوان الرسالة علي الهامش الأيسر (مطلب في فضل الجبل المقطم) ، وأنهي الرسالة بنفس علامة الوقف مع كتابة عنوان الرسالة الجديدة (مطلب في مسايل الأوقاف) علي اليسار أيضاً .

وبعيداً عن مقدمة المخطوط أو تحقيقه أو التعليق عليه ، اشتملت ورقة البحث هذه في نهايتها علي محاولة تحليل المخطوط بكل ما جاء به من ظواهر اجتماعية وسياسية ودينية وثقافية كان لها أكبر الأثر في تأثيرها حضاريًا علي أرض الواقع ، وهو الجزء الذي أسميته بـ " أنثرة المخطوط " أو تحليله أنثروبولوجياً – إن جاز لي التعبير – لاستبيان دور وأثر المخطوط حضاريًا علي المشهد الثقافي المصري آنذاك وتحقيقه في ضوء ما هو واقع حالياً ، وهو ما يتوافق والمحور الثاني من محاور المؤتمر الجليل ، وما سوف نراه لاحقاً .

ثالثاً : منهجي في التحقيق :

كما سبق وأن أشرت فإنها رسالة السفطي هذه قد نقلها – كما قال هو في افتتاحية رسالته – من كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ، ولقد تم نسخ وطبع العديد من كتاب السيوطي هذا وتحقيقه بما في ذلك متن تلك الرسالة ، التي وردت تحت اسم "ذكر المقطم" ، وعلي الرغم من أنها قد جاءت في ثلاث صفحات علي ورقتين ، إلا أن ما تضمنته كان مما له أكبر الأثر في إعمار قرافات مصر إلي الآن بالعديد من المباني المعمارية الفريدة من قباب وأضرحة ومساجد ومنازل ومقامات ومشاهد وخانقاوات وغيرها الكثير والكثير .

* النسخة بدون تجليد داخل جراب كرتون ، وفي حاجة ماسة إلي التجليد والترميم وبها تلوث ورطوبة وتفكك .

ولقد رأيت الاعتماد في تحقيق رسالة السفطي هذه – وهي الأصل التي سأقوم بالمقابلة عليها والمضاهاة – علي نسختين من كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ، إحداهما طبع مدينة حيدر آباد بالهند سنة 1917 م ، والتي أراها أقربهم للصحة وأسميتها المطبوعة ورمزت لها بالرمز (ط) ، كما اعتمدت علي نسخة أخري محققة وأسميتها المحققة ورمزت إليها بالرمز (ح) ، حققها محمد أبو الفضل إبراهيم في جزئين 1967 م – 1387 هـ ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، والتي رجع فيها سيادته لتحقيق الكتاب إلي نسخة مخطوطة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب برقم 2394 تاريخ – تيمور كُتبت سنة 977 هـ ، كما اعتمد سيادته في تحقيقه علي نسختين مطبوعتين قريبتين من الصحة ، وهما النسخة المطبوعة بمطبعة الوطن والنسخة المطبوعة بمصر علي الحجر ؛ وذلك من بين العديد من النسخ المطبوعة والمحققة التي ذكرها سيادته في مقدمة كتابه المشار إليه آنفاً .

ولقد التزمت في تحقيق الرسالة باتباع ما يلي :

1 – التزمت بكتابة سطور المخطوط كل علي حدة كما هي دون تغيير للتسهيل علي القاريء في متابعة قراءة الرسالة بشكل ميسر

2 – استخدمت علامات الترقيم بالمخطوط لإيضاح المتن .

3 – الكلمات الزائدة أو المختصرة أو المضافة من الناسخ وضعتها بين قوسين هكذا (...) وأثبت الفروق الواقعة بين النسخ في حاشية البحث .

4 – ميزت الكلمات الساقطة من الناسخ بوضعها بين معقوفتين هكذا [...] ، مع إثبات ذلك في الحاشية مستخدماً الحروف اللاتينية ... a , b , c , d .

5 – استخدمت الحروف الهجائية العربية أ ، ب ، ت ، ث ، ... لتوثيق وترجمة الأعلام والشخصيات الوارد ذكرها بالمخطوط مرتبين طبقاً لورود أسمائهم بكل صفحة .

6 – استخدمت الأرقام 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، ... للإشارة إلي الأخطاء الواردة بالنص وكذا إلي المصادر والمراجع والتصويبات وغيرها

7 – استخدمت تلك العلامة (*) لتوضيح الأماكن والبلدان الواردة بالمتن .

8 – كما أنني ميزت متن الرسالة عند تحقيقها بكتابته بخط مائل .

رابعاً : تحقيق المخطوط :

الصفحة الأولي (لوحة 1) :

" وهذه فوايد في ذكر الجبل

المقطم . بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

وبعد ، فيقول الفقير لرحمة ربه عيسي بن عيسي السفطي الحنفي:

هذه فوايد في ذكر جبل المقطم ، فأقول وبالله التوفيق: قال الشيخ

عبد الرحمن جلال الدين السيوطي [أ] في كتابه المسمي بحسن المحاضرة

في أخبار مصر والقاهرة [(1)] ذكر جبل المقطم قال ابن عبد الحكم : ب حدثنا عبد

[أ] السيوطي جلال الدين – عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضيري الإمام جلال الدين الأسيوطي المصري الشافعي ولد سنة 809 وتوفي في التاسع من جمادي الأولي سنة 911 إحدي عشرة وتسعمائة . انظر : إسماعيل البغدادي : المرجع السابق ، ص 534 – 544 . عالم مشارك في أنواع من العلوم ولد في رجب ونشأ بالقاهرة يتيماً ، وقرأ علي جماعة من العلماء ، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه في روضة المقياس علي النيل منزوياً عن أصحابه جميعاً فألف أكثر كتبه التي فاقت خمسمائة مؤلف كما ذكر تلميذه الداودي في ترجمته . انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولي 1414 هـ – 1993 م ، الجزء الثاني ، ص 82 .

[(1)] وهو الكتاب الذي نقل منه عيسي بن عيسي السفطي رسالته تلك ، ومنه النسخة المطبوعة طبع مدينة حيدر آباد بالهند سنة 1917 م ، ص 65 وما بعدها ، والمرموز لها بالرمز (ط) ، والأخري محققة حققها محمد أبو الفضل إبراهيم في جزئين ، القاهرة 1967 م – 1387 هـ ، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، ص 137 وما بعدها ، والمرموز لها بالرمز (ح) بحاشية البحث .

الله بن صالح عن الليث بن سعد قال : سأل المقوقس عمرو بن العاص
أن يبيعه سفح المقطم بسبعين ألف دينار ، فعجب عمرو من ذلك وقال :
اكتب في ذلك إلي أمير المؤمنين ، فكتب في ذلك إلي عمر بن الخطاب ، رضي الله
عنه) [2] ، فكتب إليه عمر : سله لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا يستنبط
بها ماء ، ولا ينتفع بها . فسأله فقال : إنا لنجد صفتها في الكتب أن فيها غراس
الجنة ؛ فقال عمر : [3] لا أري غراسها إلا المؤمنين [4] فأقبر فيها من مات[قبلك] [a] من المسلمين
ولا تبعه شيئاً . فكان أول من قبر بها رجل من المعافر يقال له عامر [فقيل عمرت] [b] . حدثنا
هانيء ابن المتوكل ، عن ابن لهيعة ، أن المقوقس قال لعمرو : إنا لنجد في
كتابنا أن ما بين [هذا الجبل] [a] وحيث نزلتم ينبت فيه شجر الجنة ، فكتب بقوله
إلي عمر بن الخطاب ، فقال : صدق ، فاجعلها مقبرةً للمسلمين . حدثنا عثمان
ابن صالح ، عن ابن لهيعة ، عمن حدثه ، قال : قُبر فيها من عرف [1] من أصحاب
رسول الله صلي الله عليه وسلم خمسة [2] نفر : عمرو بن العاص ، وعبد الله
ابن حذافة السهمي ، وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ، وأبو بصرة
الغفاري ، وعقبة بن عامر الجهني . وقال غير عثمان : ومسلمة بن مخلد الأنصاري .
*قال [ابن لهيعة] [b] : والمقطم ما بين القصير * إلي مقطع الحجارة ، وما بعد ذلك فمن اليحموم . [*]*

ب محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري أبو عبد الله المالكي ولد سنة **182** وتوفي سنة **268** ثمان وستين ومائتين ، محدث ، حافظ ، فقيه ، علي مذهب مالك ، ولازم الإمام الشافعي ، من أهل مصر ، ولد في منتصف ذي الحجة ، وتفقه بالشافعي ، وروي عن النسائي وابن خزيمة وخلق ، وحمل في فتنة القول بخلق القرآن إلي بغداد فلم يجب لما طلبوه ، فرد إلي مصر ، صنف تاريخ مصر ، كتاب السنن علي مذهب الشافعي ، مصابيح الظلم ، أحكام القرآن ، معرفة علوم الحديث ، أدب القضاة ، وسيرة عمر بن عبد العزيز وغيرها .انظر : البغدادي : هدية العارفين مجلد **2** ، ص **18**. كحالة : معجم المؤلفين ، الجزء الثالث ، ص **444** . الزركلي : الأعلام ، الجزء السادس ، ص **223** . السبكي : طبقات الشافعية الكبري ، تحقيق عبد الفتاح الحلو – محمود طناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولي ، القاهرة **1964** م ، ج **2** ، ص **67** وما بعدها . ويعد ابن عبد الحكم من أوائل المؤرخين والمحدثين والمصنفين لتاريخ مصر ونقل عنه معظم المؤرخين فيما بعد .

(2) ما بين القوسين مضاف من الناسخ .

(3) اختصار من الناسخ ، نجدها في ط ، ح (فكتب بذلك إلي عمر فكتب إليه عمر) .

(4) في ط ، ح (إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين) .

a ما بين المعقوفتين سقط سهواً من الناسخ ، وربما اختصاراً منه .

b ما بين المعقوفتين سقط سهواً من الناسخ ، وربما اختصاراً منه .

a ما بين القوسين سقط سهواً من الناسخ .

(1) في ط ، ح (ممن عرفنا) .

(2) خطأ لغوي من الناسخ ، في ط ، ح (خمس) .

b ما بين المعقوفتين سقط سهواً من الناسخ .

***** يقصد جبل طرة الواقع به دير القصير . يتحدث عنه أبو صالح الأرمني بقوله " الدير المعروف بالقصير علي قرنة الجبل الشرقي وهذا الدير يشرف منه علي بحر النيل المبارك وطرا " . انظر : أبو صالح الأرمني (أبو المكارم جرجس بن مسعود) : تاريخ الكنائس والأديرة ، اكسفورد **1893** م ، ص **60** وما بعدها . ويذكره المقريزي في خططه فيقول : " دير يحنس القصير : المعروف بالقصير وصوابه عندهم دير القصير علي وزن شهيد ، وحرف فقيل دير القُصير بضم القاف وفتح الصاد وتشديد الياء ، فسماه المسلمون دير القصير بضم القاف وفتح الصاد وإسكان الياء آخر الحروف ، كأنه تصغير قصير ، وأصله كما عرفناه دير القصير الذي هو ضد الطويل ، وسمي أيضاً دير هرقل ، ودير البغل ، وقد تقدم ذكره ، وكان أعظم ديارات النصاري وليس به الآن سوي واحد يحرسه ، وهو بيد الملكية . انظر : المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، الناشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن **1416** هـ / **1995** م ، المجلد الرابع ، ص **1055** ، **1056** . للاستزادة انظر الباحث : ممدوح محمد السيد : المراقب والتحصينات الدفاعية المجاورة لدير القصير بجبل طرة ، بحث ملقي بالمؤتمر الدولي السادس " الموروثات القديمة بين الشفاهية والكتابية والتجسيد " بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس ، القاهرة ، الجزء الأول ، **2015** م .

***** مفرد يحاميم وهو الأسود المظلم ، وهي جبال متفرقة مطلة علي القاهرة بمصر من جانبها الشرقي وبها جبانة ، وقيل لها اليحاميم لاختلاف ألوانها ، ويوم اليحاميم من أيام العرب . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، دار صادر بيروت ، **1977** م ، ص **431** . ويذكره المقريزي فيقول " الجبل الأحمر هذا الجبل مطل علي القاهرة

حدثنا سعيد بن عفير وعبد الله بن عباد ، قال : حدثنا المفضل [3]
ابن فضالة ، عن أبيه قال : دخلنا علي كعب الأحبار ، فقال لنا : ممن أنتم ؟
قلنا: من أهل مصر ، قال : ما تقولون في القصير ؟ قلنا : قصير موسي ، قال : ليس
بقصير موسي ، ولكنه قصير عزيز مصر ؛ كان إذا جري النيل يرتفع ، وعلي ذلك إنه
لمقدس من الجبل إلي البحر. حدثنا هاني [1] ابن المتوكل ،[عن ابن لهيعة] [a]، ورشد بن أبي سعيد [2]
الصفحة الثانية (لوحة 2) :
عن الحسن بن ثوبان ، عن الحسين [3] بن شفي الأصبحي ، عن أبيه شفي بن عبيد
، أنه لما قدم مصر – وأهل مصر اتخذوا مصلي بحذا ساقية أبي عون التي عند العسكر *–
فقال : ما لهم وضعوا مصلاهم في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس ! * حدثنا
أبو الأسود نصر بن عبد الجبار ، حدثنا [4] ابن لهيعة ، عن أبي قبيل ، أن رجلاً سأل
كعباً عن جبل مصر ، فقال : إنه لمقدس ما بين القصير إلي اليحموم . وأخرج ابن
عساكر [أ] في تاريخه ، [5] عن سفيان بن وهب الخولاني ، قال : بينما نحن نسير مع عمرو
ابن العاص في سفح المقطم ومعنا المقوقس ، فقال [له] [b] : يا مقوقس ، ما بال جبلكم
هذا أقرع ليس عليه نبات ولا شجر علي نحو من جبال الشام ! قال ما أدري ، ولكن
الله أغني أهله بهذا النيل عن ذلك ؛ ولكنا لنجد [1] تحته ما هو خير من ذلك ،

من شرقيها الشمالي ويعرف باليحموم " . انظر : المقريزي : المرجع السابق ، مج 1 ، ص 338 . ويورد ذكره في موضع آخر حيث يقول : " قال القضاعي: مصلّى العيد كان مصلى عمرو بن العاص مقابل اليحموم وهو الجبل المطلّ على القاهرة ". المقريزي : المرجع نفسه ، مج 4 ، ص 880 . في حين أورد البكري هذا اللفظ قائلاً : " والمقطّم ما بين القصير الى مقطع الحجارة وما بعد ذلك من التخوم " البكري (أبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت سنة 487 هـ) : المسالك والممالك ، نشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992 م ، تحقيق سعد غراب ، ج 1 ، ص 613 . ولم ترد تلك الكلمة إلا مرة واحدة في القرآن الكريم (وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ) سورة الواقعة آية 43 ، وتعني الدخان شديد السواد .

[3] قام الناسخ بإعادة كتابة هذه الكلمة مرة أخري بالهامش الأيسر الجانبي لإيضاحها ، بعد محاولته تصحيحها في المتن .

[1] في ط ، ح (هانيء) .

[a] ما بين المعقوفتين سقط سهواً من الناسخ .

[2] في ط ، ح (رشد بن سعد) .

[3] في ط ، ح (حسين) .

* ثاني المدن الإسلامية بمصر بعد الفسطاط ، ويذكرها ابن ياقوت الحموي فيقول " عسكر مصر : وهي خطة بها سميت بذلك لأن عسكر صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي وأبي عون عبد الملك بن يزيد مولي هناءةً نزل هناك في سنة 133 فسمي المكان بالعسكر إلي الآن . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الرابع ، ص 123 .

* يعني المقطم وأورد المقريزي تلك الفقرة في خططه نقلاً عن الكندي مستكملاً باقي النص " فقدموا مصلاهم إلي موضعه الذي هو به اليوم ، يعني المصلي القديم المذكور " . انظر المقريزي : الخطط ، مج 4 ، ص 880 .

[4] في ط ، ح (أنبأنا) .

أ الإمام العلامة الحافظ الكبير المجود ، محدث الشام ، ثقة الدين أبو القاسم الدمشقي الشافعي ، صاحب " تاريخ دمشق " . نقلت ترجمته من خط ولده المحدث أبي محمد القاسم بن علي ، فقال : ولد في المحرم في أول الشهر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وسمعه أخوه صائن الدين هبة الله في سنة خمس وخمسمائة وبعدها ، وهو علي بن الشيخ أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين . فعساكر لا أدري لقب من هو من أجداده ، أو لعله اسم لأحدهم . سمع لكثيرين ببغداد ومكة والمدينة ونيسابور وأصبهان وبهراة والكوفة ، وحدث ببغداد والحجاز وأصبهان ونيسابور ، وعدد شيوخه الذي في " معجمه " ألف وثلاثمائة شيخ بالسماع ، وستة وأربعون شيخا أنشدوه ، وعن مائتين وتسعين شيخا بالإجازة ، الكل في " معجمه " ، وبضع وثمانون امرأة لهن " معجم " صغير سمعناه ، وصنف وجمع الكثير ، وكان فهما حافظا متقنا ذكيا بصيرا بهذا الشأن ، لا يلحق شأوه ، ولا يشق غباره ، ولا كان له نظير في زمانه ، توفي في رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . انظر الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748 هـ – 1374 م) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشار معروف – محيي هلال ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولي ، بيروت 1985 م ، ج 20 ، ص 554 وما بعدها .

[5] انظر : ابن عساكر : تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق 1415 هـ – 1995 م ، ج 40 ، ص 502 .

[b] لم يذكرها الناسخ .

[1] في ط ، ح (نجد) .

قال : وما هو ، قال : ليدفنن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا
حساب عليهم ، فقال : عمرو اللهم اجعلني منهم [2] . وقال الكندي : ذكر أسد
ابن موسي ، قال : شهدت جنازة مع ابن لهيعة ، فجلسنا حوله ، فرفع رأسه ،
فنظر إلي الجبل ، فقال : إن عيسي عليه السلام [3] مر بسفح هذا الجبل وأمه إلي جانبه
فقال : يا أماه هذه مقبرة أمة محمد صلي الله عليه وسلم . قال الكندي : وسأل عمرو
ابن العاص المقوقس : ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات كجبال الشام ؟
فقال المقوقس : وجدنا في الكتب ، أنه كان أكثر الجبال أشجاراً [4] ونباتاً وفاكهة
، وكان ينزله المقطم بن مصر بن بيصر [5] بن حام بن نوح ، فلما كانت الليلة التي
كلم الله فيها موسي، أوحي الله إلي الجبال : أني مكلمٌ نبيًّا من أنبيائي علي جبل منكم ،
فسمت الجبال وتشامخت إلا جبل بيت المقدس ، فإنه هبط وتصاغر ، فأوحي [6] الله
إليه : لم فعلت ذلك ؟ فقال : إجلالاً لك [7] يا رب ، قال : فأمر الله الجبال أن يعطوه [8]
كل جبل منها مما عليه من النبت ، وجاد له المقطم بكل ما عليه من النبت ، حتي بقي كما
تري ، فأوحي الله إليه : أني معوضك علي فعلك بشجر الجنة أو غراسها ؛ فكتب بذلك
عمرو بن العاص إلي عمر [1] فكتب إليه عمر [2] أني لا أعلم شجر الجنة [3] غير المسلمين [4] فاجعله
لهم مقبرة ، ففعل ذلك عمرو ، فغضب المقوقس ، وقال لعمرو : ما علي هذا صالحتني ، فقطع
له عمرو قطيعاً من نحو الحبس [5] يدفن فيه النصاري . قال الكندي : وروي ابن لهيعة ،
عن عياش بن عباس : أن كعب الأحبار سأل رجلاً يريد السفر إلي مصر ، فقال
له : أهدي لي تربة من سفح مقطمها ، فأتاه منه بجراب ، فلما حضرت كعباً الوفاة ، أمر
به ، ففرش في لحده تحت جنبه . (فصل) . [6] قد أفتي ابن الجميزي وغيره بهدم كل بنا [7]

---

[2] في ط (معهم) ، وفي ح (منهم) .

[3] في ط ، ح (عليه الصلاة والسلام) .

[4] شجراً في ط ، ح . و (أشجاراً) في ابن زولاق : فضائل مصر ، تحقيق علي محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999 م ، ص 95 . ووردت عند المقريزي في خططه نقلاً عن الكندي (أشجاراً) ج 1 ، ص 337 . وعند البكري (أشجاراً ونبتاً) : الممالك والمسالك ، ج 1 ، ص 615 .

[5] ورد ذكرها في ط (يبصر) وفي ح (بيصر) . وصحتها ما أورده الناسخ ، انظر فضائل مصر لابن زولاق ، ص 95 ، والمقريزي الخطط ، مج 1 ، ص 337 . وكذا البكري : المرجع السابق ، ص 516 ، 566 .

[6] في ط ، ح (قال فأوحي) ، وعند ابن ظهيرة (فأوحي الله إليه) ، انظر : ابن ظهيرة (جمال الدين محمد بن محمد) : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق كامل المهندس ومصطفى السقا ، القاهرة ، وزارة الثقافة ، 1969م ، ص 108 . وعند البكري (فأوحى الله تبارك وتعالى إليه) : الممالك والمسالك ، ص 615 .

[7] عند ابن ظهيرة (إعظاماً وإجلالاً لك) : المرجع السابق ، ص 108 . ووردت عند البكري (إعظاما لك وإجلالا يا ربّ) : المرجع السابق ، ص 615 .

[8] خطأ من الناسخ حيث أوردها هكذا (يعطيوه) ، في ط ، ح (أن يعطوه) ، وعند ابن ظهيره (يحوه) ص 108 ، وابن زولاق (أن يحبوه) ص 95 ، وكذا في المقريزي نقلاً عن الكندي : الخطط ، المجلد الأول ، ص 337 ، وأيضاً عند البكري : الممالك والمسالك ج 1 ، ص 615 .

[1] وردت في ط ، ح (رضي الله عنهما) ، ربما كانت اختصاراً من الناسخ الذي أضافها في بداية الرسالة .

[2] لم يرد إسم عمر ثانية في ط ، ح . لكن أضافه الناسخ هنا للتوضيح .

[3] في ط ، ح (أو غراسها لغير المسلمين) فربما سقط سهواً من الناسخ ، في حين وردت عند البكري كما أوردها ابن السفطي في مخطوطته تلك تماماً (اني لا أعلم شجر الجنة غير المسلمين) البكري : الممالك والمسالك ، ص 615 .

[4] عند ابن زولاق (المؤمنين) : فضائل مصر ، حاشية 4 ، ص 96 . والمقريزي نقلاً عن الكندي : الخطط ، ص 337 . وكذا عند ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص 108 .

[5] ربما أخطأ الناسخ في حرف الشين أو فهمها أنه قد (حبس) أي أوقف لهم قطيعاً ، وردت في ط (بحر الحبش) ، وفي ح (نحو الحبش) ، والمقريزي نقلاً عن الكندي (بركة الحبش) ص 337 . وفي ابن زولاق وردت (أرض الحبش) ص 96 وكذا في ابن ظهيرة (أرض الحبش) وأغلب الظن – كما يذكر محققا كتاب ابن ظهيرة – أنها كانت قريبة من بركة الحبش ، فقد كانت لطائفة من الرهبان الأحباش جنان منها يطل عليها الحبش . انظر ابن ظهيرة ، ص 109 ، حاشية 1 .

[6] يعني انتهاء الحديث وبداية حديث آخر .

بسفح المقطم ، وقالوا : أنه وقف [8] عمر بن الخطاب علي موتي المسلمين ، وذكر ابن الرفعة
عن شيخه الظهير التزمنتي عن ابن الجميزي قال : جهدت [9] مع الملك الصالح أ
في هدم ما أُحدث بالقرافة من البناء ، فقال : أمر فعله والدي لا أزيله قال : وهذا
أمر عمت به البلوي وطمت ، ولقد تضاعف البناء حتي انتقل إلي المباهات [10] والنزهة ،
الصفحة الثالثة (لوحة 2) :
وسلطت [1] المراحيض علي أموات المسلمين من الأشراف والأولياء وغيرهم ، [2]
وذكر أرباب التاريخ : أن العمارة من قبة الإمام الشافعي [3] إلي باب القرافة ،
إنما حدثت في أيام الملك الناصر بن قلاوون أ ، وكان فضا [4] ، فأحدث فيه
الأمير يلبغا التركماني ب تربة ، فتبعه الناس . قال الفاكهاني ت في شرح الرسالة :

---

[7] يقصد كل بناء .

[8] في ط ، ح (وقف من عمر علي موتي المسلمين) .

[9] في ط (جاهدت) ، وفي ح (جهدت) .

أ الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب توفي لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة ، وكانت مدة مملكته للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوماً ، وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة . انظر أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبي الفدا ت 732 هـ) : المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، القاهرة 1325 هـ ، الجزء الثالث ، ص 179 . ومات بالمنصورة وهو في مقابلة الفرنج عن أربع وأربعين سنة ، بعدما عهد لولده الملك المعظم تورنشاه ، والملك الصالح هو من أنشأ المماليك البحرية بديار مصر ، وسماهم بالبحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة . المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولي 1997 م ، الجزء الأول ، ص 441 .

[10] في ح (المباهاة) ، وربما يقصد التباهي والمفاخرة بتلك المباني وصار الأمر للنزهة أيضاً ، وهو ما أورده ابن الحاج في كتابه المدخل قائلاً " وليست القبور موضع زينة ولا مباهاة " . ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي ت 737 هـ) : المدخل ، مطبعة المتوكل ، الإسكندرية 1291 هـ ، الجزء الأول ، ص 211 .

[1] من التعقيبات حيث قام الناسخ بتسجيل تلك الكلمة أسفل هامش الصفحة السابقة علي اليسار كبداية لافتتاحية الصفحة التالية .

[2] نُقلت تلك الفقرة بالكامل علي لسان الزركشي ونسبت إليه (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي . ت 794 هـ) كما جاء بالطبقات الفقهية الكبري ما نصه : " قَالَ الزَّرْكَشِيُّ وَالْبِنَاءُ فِي الْمَقَابِرِ أَمْرٌ قَدْ عَمَّتْ بِهِ الْبَلْوَى وَطَمَّ وَلَقَدْ تَضَاعَفَ الْبِنَاءُ حَتَّى انْتَقَلَ لِلْمُبَاهَاةِ وَالشُّهْرَةِ وَسُلِّطَتْ الْمَرَاحِيضُ عَلَى أَمْوَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَشْرَافِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ اهـ وَلَيْسَ هَذَا خَاصًّا بِتُرَبِ مِصْرَ بَلْ انْتَقَلَ نَظِيرُ ذَلِكَ وَأَفْحَشُ مِنْهُ إلَى تُرْبَتَيْ الْمُعَلَاةِ وَالْبَقِيعِ حَتَّى صَارَ يَقَعُ فِيهِمَا مِنْ الْمَفَاسِدِ مَا لَا يَقَعُ فِي غَيْرِهِمَا وَسَبَبُهُ وُلَاةُ السُّوءِ وَقُضَاةُ الْجَوْرِ " . انظر : ابن حجر الهيتمي (أحمد بن محمد بن علي السعدي الأنصاري شهاب الدين أبو العباس . ت 974 هـ) : الفتاوي الفقهية الكبري ، جمعها تلميذه الفاكهي (عبد القادر بن أحمد بن علي المكي ت 982 هـ) ، الناشر المكتبة الإسلامية ، الجزء الثاني ، ص 18 .انظر ترجمة الزركشي في كل من : ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ج 3 ، ص 397 ، السيوطي ح : حسن المحاضرة ، ج 1 ، ص 437 .

[3] أنشأ هذه القبة علي ضريح الإمام الشافعي الملك الكامل المظفر المنصور أبو المعالي ناصر الدين محمد ، ظهير أمير المؤمنين ، ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن أيوب سنة ثمان وست مائة (614 – 635 هـ) . المقريزي : الخطط ، مج 4 ، ص 911 . والإمام الشافعي أحد أئمة المذاهب الأربعة ، هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي أبو عبد الله الإمام الشافعي ، ولد بعسقلان سنة 150 وتوفي بمصر سنة 204 هـ . انظر / البغدادي : هدية العارفين مجلد 2 ، ص 9 ، للاستزادة انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، مج 10 ، ص 5 ، وما بعدها .

أ الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وهو التاسع من ملوك الترك وأولادهم الذين حكموا الديار المصرية بويع بالسلطنة بعد أخيه الأشرف خليل ، يوم الخميس الثامن عشر المحرم ، سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وكان له من العمر نحو تسع سنين ، ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت 930 هـ) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1975 م ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص 378 وما بعدها . ولي حكم مصر ثلاث مرات كانت الأولي كانت لمدة عام تقريباً ، والثانية لمدة عشر سنوات (698 – 708 هـ) ، والثالثة بلغت مدة ولايته إحدي وثلاثين سنة (709 – 741 هـ) . انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في العصور الوسطي منذ الفتح العربي حتي الغزو العثماني ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1992 م ، ص 477 وما بعدها .

[4] يقصد وكان فضاء .

ب ربما يقصد يلبغا بن عبد الله اليحياوي الناصري ، الأمير سيف الدين ، نائب حماة ثم حلب ثم الشام ، كان خصيصاً عند أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون لجمال صورته ، قتل سنة ثمان وأربعين وسبعمائة . ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت 874 هـ) : الدليل الشافي علي النهل الصافي ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1983 م ، الجزء الأول ، ترجمة رقم 2671 ، ص 793 . ولقد أورد ابن تغري بردي أسماء خمسة أمراء ضمنهم تحت إسم يلبغا الناصري وهم : يلبغا العُمري الحسني الناصري الخاصكي الأتابكي أستاذ الملك الظاهر برقوق وقتل سنة ثمان وستين وسبعمائة ترجمة رقم 2672 ، ويلبغا الناصري اليلبغاوي الأتابكي وهو مملوك يلبغا العمري المقدم ذكره ، وصاحب الواقعة مع الملك الظاهر برقوق ، وقتل سنة ثلاث وتسعين وستمائة ترجمة رقم 2673 . يلبغا بن عبد الله الناصري الأتابكي الظاهري برقوق ، وهذا ثالث

ولا يجوز التضييق فيها ببناء يحوز [5] قبراً ولا غيره ، بل لا يجوز في المقبرة المحبسة غير الدفن فيها ؛ خاصة وقد أفتي من تقدم من أجلة العلماء رحمهم الله -علي ما بلغني ممن أثق به- بهدم ما بني بقرافة مصر ، وإلزام البنائين [1] فيها حمل النقض وإخراجه منها إلي موضع آخر [2] ؛ وأخبرني الشيخ الفقيه نجم الدين بن الرفعة [أ] ، عن شيخه الفقيه العلامة ظهير الدين التزمنتي : [ب] أنه دخل إلي صورة مسجد بني بالقرافة بمصر الصغري [3] ، فجلس فيه من غير أن يصلي تحية فقال له الباني : ألا صليت التحية ، قال : لا ؛ لأنه غير مسجد ، فإن المسجد هو الأرض ؛ والأرض مسبلة [4] لدفن المسلمين- أو كما قال . وأخبرني أيضاً المذكور ، عن شيخه المذكور ، أن الشيخ بهاء الدين الجميزي [ت] قال : جهدت مع الملك الصالح في هدم ما أحدثه بقرافة مصر من

يلبغا ولي الأتابكية بمصر توفي سنة سبع عشرة وثمانمائة ترجمة رقم **2674** . وأخيراً يلبغا بن عبد الله الناصري أحد مقدمي الألوف بديار مصر وحاجب الحجاب في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة ترجمة رقم **2675** . في حين لم يرد ذكر يلبغا التركماني مطلقاً . هذا ولم يستدل علي موضع تربته بجوار الإمام الشافعي إلي الآن ، فالأمر في حاجة إلي مزيد من البحث عنها .

[ت] في ط ، ح الفاكهي إلا أن ترجمته في نفس الكتاب وردت الفاكهاني . هو تاج الدين عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي ، كان فقيهاً متفنناً في العلوم ، صالحاً عظيماً ، صنف شرح العمدة وشرح الأربعين النووية وغيرها . ولد سنة أربع وخمسين وستمائة ومات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ، له كتب منها الإشارة في النحو ، والتحرير والتحبير في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام ، والفجر المنير في الصلاة علي البشير النذير ، وغيرها . انظر السيوطي (المحققة) ، ج **1** ، ص **458** . الزركلي : الأعلام ، ج **5** ، ص **56** . ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج **3** ، ص **178** .

[5] وردت في ط (يجوز به) ، وفي ح (يحرز به) .

[1] وردت في ط (البنايين) .

[2] في ط ، ح (إلي موضع غيرها) .

[أ] الشيخ نجم الدين ابن الرفعة هو: أحمد بن محمد بن علي بن مرتفع بن حازم بن إبراهيم بن العباس المصري الشافعي ، ولد سنة **645** ، وأخذ الفقه عن الضياء جعفر ابن الشيخ عبد الرحيم القنائي والسديد الأرمنتي والظهير التزمنتي وابن رزين وابن بنت الأعز وابن دقيق العيد وغيرهم ، وسمع من عبد الرحيم الدميري وعلي بن محمد الصواف وغيرهما ، اشتهر بالفقه إلي أن صار يضرب به المثل ، وإذا أطلق الفقيه انصرف إليه من غير مشارك ، وكانت وفاته في ليلة الجمعة ثامن عشر شهر رجب سنة **710** وكان قد ندب لمناظرة ابن تيمية ، فسئل ابن تيمية عنه بعد ذلك ، فقال رأيت شيخاً تتقاطر فروع الشافعية من لحيته ، وأثني عليه ابن دقيق العيد . انظر ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، ج **1** ، ص **284** وما بعدها . انظر كذلك الشوكاني (محمد بن علي ت **1250** هـ : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الجزء الأول ، ص **115** وما بعدها .

[ب] ظهير الدين جعفر التزمنتي نسبة إلي تزمنت من بلاد الصعيد بمصر (ت **682** هـ – **1283** م) : فقيه ، من أهل مصر ، له شرح مشكل الوسيط في فروع الفقه الشافعي . انظر : عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، الجزء الثاني ، ص **21** . ويذكره السبكي فيقول : " جعفر بن يحيي بن جعفر المخزومي : الشيخ الإمام ظهير الدين التزمنتي ، نسبة إلي تزمنت ، بفتح التاء المثناة من فوقها ، وهي من بلاد الصعيد ، كان شيخ الشافعية بمصر في زمانه ، أخذ عن الجميزي ، وأخذ عنه فقيه الزمان ابن الرفعة وعم والدي الشيخ صدر الدين يحيي بن علي السبكي ، وخلائق . وله شرح مشكل الوسيط وقد سمع الحديث من فخر القضاة أحمد بن محمد بن الجباب ، مات سنة اثنتين وثمانين وستمائة .انظر : السبكي : طبقات الشافعية الكبري ، الجزء **8** ، ص **139** . ولقد نقل المحقق في حاشية الصفحة نقلاً عن ابن ياقوت الحموي أن تزمنت بكسر التاء ، وأنها قرية من عمل البهنسا علي غربي النيل من الصعيد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني ، ص **29** .

[3] في ط (بني بقرافة مصر الصغري) .

[4] والمسبلة هى التى اعتاد الناس الدفن فيها ، أي ليست وقفاً أو ملكاً . انظر : عبد الرحمن الجزيري : الفقه علي المذاهب الأربعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، **2003** م ، الجزء الأول ، ص **487** .

[ت] شيخ الديار المصرية العلامة المفتي المقرئ بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم اللخمي المصري الشافعي الخطيب المدرس ، ابن بنت الشيخ أبي الفوارس الجميزي ، ولد يوم النحر سنة تسع وخمسين وخمسمائة بمصر ، وحفظ القرآن صغيرا وارتحل به أبوه ، فسمع في سنة ثمان وستين من الحافظ ابن عساكر ، وببغداد من شهدة الكاتبة . وتلا بالعشر على أبي الحسن البطائحي ، وعلى القاضي شرف الدين بن أبي عصرون ، وتفقه عليه ، وأكثر عنه . وسمع أيضا من عبد الحق اليوسفي ، ويحيى بن السقلاطوني ومحمد بن نسيم ، وبادر فسمع من أبي الطاهر السلفي ، وأبي طالب اللخمي ، وابن عوف ، وابن بري النحوي ، وتلا على الشاطبي ختمات . وتفقه أيضا على العراقي والشهاب الطوسي ، وبرع في المذهب ، وخطب بجامع القاهرة ، وانتهت إليه مشيخة العلم . وروى الكثير بدمشق وبمكة والقاهرة وقوص ; روى عنه البرزالي ، والمنذري ، وابن النجار ، والدمياطي ، وابن الصيرفي ، والفخر التوزري ، والأمين محمد بن النحاس ، والرضي الطبري ، وابن الشيرازي ، وأبو الفتح القرشي ، وخلق كثير من شيوخنا ، وعاش أرجح من تسعين سنة وأياما ، توفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة رحمه الله . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج **23** ، ص **253** . انظر السيوطي ح : حسن المحاضرة ، ج **1** ، ص **413** .

البنا ، فقال : أمر فعله والدي لا أزيله . وإذا كان هذا قول هذا الإمام وغيره في ذلك الزمان قبل أن يبالغوا في البناء ، والتفنن فيه ونبش القبور لذلك وتصويب [1] المراحيض علي أموات المسلمين من الأشراف والعلماء والصالحين وغيرهم ؛ فكيف في هذا الزمان وقد تضاعف ذلك جداً حتي كأنهم لم يجدوا من البناء بُداً [2] وجاوزوا [3] في ذلك أشياء ، إذا فتحت علي ولي الأمر ، أرشده الله تعالي إلي الأمر [4] بهدمها وتخريبها حتي يعود طولها عرضاً وسماؤها أرضاً . وقال ابن الحاج [أ] في المدخل : القرافة جعلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لدفن موتي المسلمين [5] واستقر الأمر علي ذلك ، فيمنع البناء فيها . قال : وقد قال لي من أثق به وأسكن إلي قوله : أن الملك الظاهر – يعني بيبرس – [ب] كان قد عزم علي هدم كل [6] ما في القرافة من البناء كيف كان ، فوافقه الوزير [ت] في ذلك ، ونفذه [7] واحتال عليه بأن قال له : إن فيها مواضع للأمراء وأخاف أن تقع فتنة بسبب ذلك ، وأشار عليه بأن [8] يعمل فتاوي في ذلك فتستفتي فيها الفقهاء : [9] هل يجوز هدمها أم لا ؟ فإن قالوا بالجواز فعل الأمير ذلك مستنداً إلي فتاويهم ، فلا يقع تشويش علي أحد . فاستحسن الملك ذلك ، وأمره أن يفعل ما أشار به . قال : فأخذ الفتاوي وأعطاها لي ، وأمرني أن أمشي علي من في الوقت من العلماء ، فمشيت عليهم بها [1] مثل الظهير التزمنتي ، وابن الجميزي ونظايرهما [2] في الوقت ، فالكل كتبوا خطوطهم ، واتفقوا علي لسان واحد أنه يجب علي ولي الأمر أن يهدم ذلك كله ، ويجب عليه أن يكلف أصحابها [3] رمي ترابها إلي الكيمان * ، فلم [4] يختلف في ذلك أحد منهم ؛ قال : فأعطيت تلك الفتاوي [5] للوزير ، فما

---

(1) في ط (ونصب) ، وفي ح (وتصويب) .

(2) في ط ، ح (فيها بُداً) .

(3) في ط ، ح (وجاءوا) .

(4) وردت تلك الجملة في ط ، ج هكذا (وجاءوا في ذلك شيئاً إدا فيجب علي ولي الأمر أرشده الله تعالي الأمر) .

[أ] ابن الحاج صاحب المدخل ، أبو عبد الله بن محمد بن محمد العبدري الفاسي ، أحد العلماء العاملين المشهورين بالزهد والصلاح ، من أصحاب أبي محمد بن أبي جمرة ، كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك ، مات بالقاهرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . انظر السيوطي ح : حسن المحاضرة ، ج 1 ، ص 459 .

(5) في ط ، ح (المسلمين فيها) .

[ب] السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس الصالحي النجمي ، مات بدمشق في السابع والعشرين من المحرم سنة ست وسبعين وستمائة ، وكانت مدة مملكته نحو سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام لأنه ملك في سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، كان ملكاً جليلاً شجاعاً عاقلاً مهيباً ، ملك الديار المصرية والشام وأرسل جيشاً فاستولوا علي النوبة ، وفتح الفتوحات الجليلة مثل صفد وحصن الأكراد وانطاكية وغيرها . انظر أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، الجزء الرابع ، ص 11 .

(6) في ط ، ح (هدم ما في القرافة) .

[ت] يقصد الوزير الصاحب بهاء الدين بن حنا ، لأنه الوحيد الذي أقام في الوزارة طوال عهد الظاهر وعهد ولده السعيد ، حيث يذكر السيوطي في معرض حديثه عمن تولوا منصب الوزير بمصر فيقول " ووزر زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع المعروف بابن الزبير فأقام إلي أيام الظاهر بيبرس فعزله من الوزارة في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين ، واستوزر بعده الصاحب بهاء الدين بن حنا فأقام وزيراً إلي أن مات الظاهر وتولي ولده الملك السعيد ، فأقره علي الوزارة ، وكتب له تقليداً من إنشاء القاضي محيي الدين عبد الظاهر ... واستمر الصاحب بهاء الدين في الوزارة إلي أن مات في ذي القعدة سنة سبع وسبعين " أي بعد عام من وفاة الملك الظاهر بيبرس المتوفي سنة 676 هـ . انظر السيوطي ح : حسن المحاضرة ، الجزء الثاني ، ص 217 ، 221 .

(7) خطأ من الناسخ ، صحته في الأصل (فنده) وكذا في ابن الحاج في مدخله ص 211 .

(8) في ط ، ح (عليه أن يعمل) .

(9) في ط (فيُستفتي الفقها) يقصد الفقهاء ص 67 ، في حين وردت في ح (فيستفتي فيها الفقهاء) ص 141 ، وكذا في مدخل ابن الحاج ، ص 210 .

(1) في ط ، ح (فمشيت بها عليهم) .

(2) في ط ، ح (ونظائرهما) .

(3) في ط ، ح (أصحابه) .

أعرف ما صنع فيها ، وسكت الأمر علي ذلك ، [6] وسافر الملك الظاهر إلي الشام في وقته ، فلم يرجع ، ومات بها . [7] فهذا إجماع من هؤلاء العلماء المتأخرين ، فكيف يجوز البناء فيها ! فعلي هذا فكل من فعل ذلك فقد خالفهم (والله أعلم) [8] " . انتهت الرسالة .

خامساً : التعليق علي المخطوط وتحليله (أنثرة المخطوط) :

إذا كان علم الأنثروبولجيا (anthropology) * يهتم بتشريح وتحليل كافة العوامل المؤثرة في تكوين الإنسان سواء داخلياً من تكوينه البشري ونشأته ومراحل تطوره ، أو خارجيًا بما في ذلك الظواهر الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها ؛ لذا استخدمت لفظة "أنثرة المخطوط" إسقاطاً مني علي ما ارتأيته ضرورة لازمة عند دراستي للمخطوط ، كمحاولة لدراسة واستبيان كافة الظواهر الحضارية الواردة به والتي يمكن استخلاصها من المخطوط محل الدراسة الحالية ، ومدي تأثيرها وتأثرها علي أرض الواقع ، وتحليلها قدر الإمكان ، وهو ما قصدته من إطلاق واشتقاق هذا اللفظ * .

---

* ربما يقصد بها كيمان تراب ، وهي التي أوردها المقريزي في خططه " واتخذوا التُرب الجليلة أيضا فيما بين مصلّى خولان وخط المغافر التي موضعها الآن كيمان تراب ، وتعرف الآن بالقرافة الكبرى " . الخطط ، مج 4 ، ص 851 .

(4) في ط ، ح (ولم) .

(5) في ط ، ح (فأعطيت الفتاوي) .

(6) في ط ، ح (وسكت علي ذلك) .

(7) في المطبوعة (به) ، والمحققة كما أوردها الناسخ .

(8) ما بين القوسين إضافة من الناسخ ليختتم به رسالته .

* إن لفظة أنثروبولوجيا (**anthropology**) هي كلمة إنكليزية مشتقة من الأصل اليوناني المكون من مقطعين : **anthropos** ومعناها "الإنسان" و **logos** ومعناها "علم". وبذلك يصبح معني الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ هو علمُ الإنسان. أي العلم الذي يدرس الإنسان ، كما تعرف بأنها علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً ، أي دراسته في أبعاده المختلفة : البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك علم التشريح وتاريخ تطور الجنس البشري ، وكذا الأبعاد السياسية والاقتصادية والدينية والقانونية والفكرية وغيرها المؤثرة فيه . للاستزادة انظر : عيسي الشماس : مدخل إلي علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2004 م ، ص 13 وما بعدها .

* دفعني إلي ذلك ما لمسته عند دراستي واطلاعي لعلم المخطوطات ما وجدته من محاولات عديدة محمودة من أساتذتنا في هذا المجال ، وكانت محاولات جديرة بالاحترام لتنوعها وثرائها ، وإن كان التباين فيما بينها قد شجعني للمحاولة في الإدلاء بدلوي في هذا الأمر ، لاسيما وأنا حديث عهد بهذا المجال الشاق والصعب ، عسي أن أوفق فيما رميت إليه . يذكر الدكتور أيمن فؤاد سيد أن الدراسات الخاصة بالمخطوطات العربية حتي الآن قد اقتصرت علي بحث متون هذه المخطوطات والدراسة الفيلولوجية (أي الدراسة التي تعني بنص الكتاب ومضمونه العلمي) لما تقدمه من مادة علمية ، أما الجانب المادي للكتاب المخطوط باعتباره وثيقة أثرية حضارية فلم يلق بعد ما يناسبه من عناية واهتمام . ثم تحدث سيادته عن نشأة علم الكوديكولوجيا **Codicology** وهو لفظ مكون من مقطعين : **Codex** اللاتينية وتعني كتاب و **Logos** وتعني علم وبحث ويعني بدراسة العناصر المادية للكتاب المخطوط متمثلة في : الورق ، الحبر والمداد ، التذهيب ، التجليد وأيضاً حجم الكراسة والترقيم والتعقيبات ، وكل ما دون علي صفحة الغلاف (الظهرية) من سماعات وقراءات وإجازات ومقابلات ووقفيات ...إلخ ، وكذا ما يسجل في آخر الكتاب فيما يعرف بالكولوفون (**Colophon**) (قيد الفراغ من كتابة النسخة) من إسم الناسخ وتاريخ النسخ ومكانه والنسخة المنقول عنها ومصدرها وما شابه ذلك ، وقد أطلق الأوربيون عليها إسم خوارج الكتب **Ex-Libris**. انظر: أيمن فؤاد سيد : الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1997 م ، الجزء الأول ، ص 1 ، 2 .

هذا وقد تعددت الآراء حول وضع تعريف محدد لعلم المخطوطات ذكرها وفندها الباحث الأستاذ / محمود محمد زكي في عرضه الرائع لكتاب (نحو علم مخطوطات عربي) للباحث / عبد الستار الحلوجي ، تلك الآراء التي حامت في معظمها علي دراسة المخطوطات من الناحية المادية دون دراسة ما تضمنه المتن أو العكس ، ولم توفق في وضع تحديد جامع ومانع لهذا العلم أو بمعني آخر تعددت التعريفات الخاصة بعلم المخطوطات – والتي لا مجال هنا لحصرها – وإن كانت قد ركزت علي جانب دون الآخر في دراسة المخطوط ، محاولاً سيادته الوصول لتعريف شامل لهذا العلم علي أنه (العلم الذي يدرس ما يتعلق بالكتاب الإسلامي المخطوط ، مادة ومضموناً ، حفظاً وإتاحة وتاريخاً) انظر : محمود محمد زكي : نحو علم مخطوطات عربي ، مجلة الفهرست ، دار الوثائق القومية ، العدد السادس عشر ، أكتوبر 2006 م ، ص 123 وما بعدها . وحسناً فعل الباحث – بل ووفق إلي حد بعيد – حين أكد علي أن الأنسب استخدام مصطلح (صناعة المخطوط) عند دراسة الكيان المادي للمخطوط وأنه بديل جيد عن استعارة لفظ (كوديكولوجيا) ، كما رأي سيادته أن مفهوم علم (المخطوط العربي الإسلامي) أعم وأشمل للحضارة العربية الإسلامية من اقتصار مفهوم علم المخطوط علي ما خُط باللغة العربية فقط ، وذلك كما جاء في تعريف الأستاذ عبد الستار الحلوجي له .

وإن كنت أري أن تسمية هذا العلم بـ " علم المخطوطات " أو " **Manuscriptology** " – إن جاز لي التعبير – دون نسبته لأي حضارة كانت هو المفهوم الأعم والأشمل لدراسة أي مخطوط مهما كانت الحضارة التي استظل بها شرقاً أو غرباً – إسلامية أو غير إسلامية – عربية أو غير عربية – قديماً كان أو حديثاً . وعليه يمكننا تعريف علم المخطوطات علي أنه " العلم الذي يهتم بدراسة المخطوط مادياً وأدبياً " . وأعني بمادياً : كل ما يختص بصناعة المخطوط من أنواع الورق المستخدمة في صناعته ، والحبر والمداد ، وطريقة التجليد (التسفير) ، وأساليب التذهيب والزخرفة ، وأعني بأدبياً : كل ما يختص بدراسة فحوي ومضمون متن المخطوط من تأريخ ، وتوثيق ، وتحقيق ، وفهرسة ، وترجمة ، وكتابات مسجلة ، وخطوط ، وتصاوير ملحقة (المنمنمات) ، وتحليل كافة الظواهر المستنبطة منه . وهو ما دفعني إلي محاولة ترسيخ وإقرار مفهوم " أنثرة المخطوط " أي تحليل ما يمكن استخلاصه من مظاهر مصاحبة بمتن المخطوط سياسياً وحضارياً ودينياً وثقافياً واجتماعياً وغيرها كما أشرت إلي ذلك آنفاً ضمن الدراسات الأدبية للمخطوط . ومع ذلك

جبل المقطم وسبب التسمية (بيئيًا وجغرافيًا) : يذكر ياقوت الحموي عن المقطم " بضم أوله ، وفتح ثانيه ، وتشديد الطاء المهملة وفتحها ، وميم: هو الجبل المشرف علي القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة ، وهو جبل يمتد من أسوان وبلاد الحبشة علي شاطيء النيل الشرقي حتي يكون منقطعه طرف القاهرة ويسمي في كل موضع بإسم ، وعليه مساجد وصوامع للنصاري ، لكنه لا نبت فيه ولا ماء غير عين صغيرة تنز في دير للنصاري بالصعيد ، وقد ذكر قوم أنه جبل الزبرجد ، والذي يتصور عندي أن هذا إسم أعجميًا فإن كان عربياً فهو من القطم ، فيجوز أن يكون المقطم الذي قطم حشيشه أي أُكل لأنه لا نبات فيه ، وكذلك هذا الجبل لا ماء فيه ولا مرعي ، قال الهنائي : المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع كأنه لما كان متقطع الشجر والنبات سمي مقطماً ، وظهر لي بعد وجه آخر حسن وهو أن هذا الجبل كان عظيماً طويلاً ممتداً وله في كل موضع اسم يختص به ، فلما وصل إلي هذا الموضع قُطم أي قُطع عن الجبال ، فليس بعده إلا الفضاء ، وأما أهل السير فقال القضاعي : سمي بالمقطم بن مصر بن بيصر وكان عبداً صالحاً انفرد بعبادة الله تعالي في هذا الجبل فسمي به ، وليس بصحيح لأنه لا يُعرف لمصر ابناً اسمه المقطم [1]. وأري أن الأرجح في سبب تسميته بالمقطم يرجع لاستخدامه كمقطع للحجارة * أي لقطمه ، كما يظهر في اللوحة المرفقة (لوحة 3) .

وتحدث المقريزي عن جبل المقطم نقلاً عن البكري قائلاً " المقطم : جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم " [2] . ويضيف البكري فيقول : جبل ضخم يدفنون فيه موتاهم ، وله خاصية في حفظ أجساد الموتي ليست لسواه [3] .

ويتحدث المقريزي عن الجبلين اللذين يحصران مصر ومنهما جبل لوقا وجبل المقطم فيقول " وهذان الجبلان أقرعان لا ينبت فيهما نبات ، كما يكون في جبال البلدان الأخرى ، وعلة ذلك: أنهما بورقيان مالحان لأنّ قوّة طين مصر تجذب منهما الرطوبات الموافقة في التكوين ، ولأنّ قوّة الحرارة تحلل منهما الجوهر اللطيف العذب، وكذلك مياه الآبار منهما مالحة، وهذان الجبلان يجففان ما يدفن فيهما، فإنّ أرض مصر بالطبع قليلة الأمطار " [4] .

ويذكر المقريزي في خططه نقلاً عن ابن سعيد " وفوق القرافة من شرقيها جبل المقطم ، وليس له علو ولا عليه اخضرار ، وإنما يقصد للبركة ، وهو نبيه الذكر في الكتب ، وفي سفحه مقابر أهل الفسطاط والقاهرة ، والإجماع علي أنه ليس في الدنيا مقبرة

فإنه حال نشر أي مخطوط يجب أن يحتوي البحث علي كافة تلك المعلومات المادية والأدبية ، وإن طغي جانب علي آخر في دراسة المخطوط . وهنا أستدعي ما ذكره الأستاذ / عبد الستار الحلوجي حين قال " أنه لا يطلب من المتخصص في علم المخطوطات– بوصفه علماً جامعاً لأكثر من مجال – أن يتقن كلا منها علي حدة إتقان المتخصص فيها ، بل حسبه أن يتقن جانباً أو أكثر ، وأن يكون علي علم بالخطوط الرئيسية للجوانب الأخري ، فكلها تمثل محاور هذا العلم ، وكل منها يؤدي دوره الذي لا غني عنه " انظر : عبد الستار الحلوجي : نحو علم مخطوطات عربي ، الطبعة الأولي ، دار القاهرة للنشر ، 2004 م ، ص 108 . محمود محمد زكي : المرجع السابق ، ص 125 .

أما صيانة المخطوط من عوامل التلف فهو علم مساعد مستقل بذاته يهدف إلي الحفاظ علي المخطوط وترميمه ، وأضمنه مع الدراسات المادية للمخطوط ، لأنه يتطلب معرفة التكوين المادي للمخطوط والتي يمكن إجمالها – كما جاء بكتاب صيانة المخطوطات – إلي مواد كربوهيدراتية : ممثلة في الأوراق ، والبرديات ، واللواصق النشوية . مواد بروتينية : ممثلة في الرق والجلد ، واللواصق الغروية . ومواد يكتب منها : ممثلة في الأحبار . وذلك لتفهم العلاقات البيئية المؤثرة علي هذا التكوين كمدخل لصيانة المخطوط والحفاظ علي أثريته باعتباره تراث أمة للماضي والحاضر والمستقبل . للاستزادة انظر : مصطفي مصطفي السيد يوسف : صيانة المخطوطات علماً وعملاً ، عالم الكتب ، القاهرة 2002 م ، الطبعة الثانية ، ص 19 .

[1] ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 5 ، ص 176 وما بعدها .

* كنت قد تناقشت مع السيد الأستاذ الآثاري إبراهيم عبد الرحمن عبد الله مدير عام آثار مصر القديمة والفسطاط ورئيس قطاع الآثار الإسلامية الأسبق حول تسمية جبل المقطم فأفاد سيادته لي أن سبب التسمية يرجع إلي استغلال جبل المقطم كمقطع للحجارة دل علي ذلك كثرة المحاجر بطول الجبل حتي أن الفراعنة اتخذوا من حجارته لبناء أهراماتهم ومعابدهم فصار وكأن عمليات القطم هذه سبباً في تسميته بهذا الإسم ، وهو الأمر الذي أؤيد سيادته فيه ، وأراه الأرجح . وأتوجه لسيادته ولزميلي الآثاري / حسين فوزي – مدير منطقة آثار الفسطاط الحالي – بجزيل الشكر علي مشاوراتهما ونصائحهما لي منذ الوهلة الأولي لشروعي في عمل هذا البحث جزاهما الله عني خير الجزاء ، والشكر موصول لصديقي الآثاري / أسامة عبد الشكور بالمتحف المصري الكبير ومتخصص الأنثربولوجي لنصائحه السديدة لي وإبداء آراءه القيمة .

[2] المقريزي : الخطط ، ج 1 ، ص 336 . انظر البكري (أبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت سنة 487 هـ) : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفي السقا ، عالم الكتب بيروت ، 1945 م ، ص 1251 .

[3] البكري : المرجع نفسه ، ص 1311 .

[4] المقريزي : المرجع السابق ، ص 334 .

أعجب منها ، ولا أبهي ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجرها ، ولا أعجب تربة منها كأنها الكافور والزعفران ، مقدسة في جميع الكتب ، وحين تشرف عليها تراها مدينة بيضاء ، والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها " [1] .

كما أورد البكري ذكر المقطم بقوله " وليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ولا أبهى ولا أعظم ولا أطيب منها تربة ، تربتها مثل الكافور " [2] .

دينياً : مما لاشك فيه أن إشكالية البناء في المقابر قد شغلت أذهان الكثيرين من العلماء والفقهاء ، فأفردوا لها الأبواب والمجلدات ناهين عن ذلك الأمر وكأن لكل فعل رد فعل لاسيما أمام تغول وإزدياد عمليات البناء بمدافن المسلمين من قبل وأضرحة ومشاهد ومساجد ومساكن أيضاً ، وهو ما سوف نراه الآن في كيفية استقبال الفقهاء وعلماء الدين لهذه القضية ، وأقوالهم حيال تلك الإشكالية :

فيذكر إبن تيمية في الفتاوي الكبري : " وأما بناء المساجد علي القبور ، وتسمي "مشاهد" فهذا غير سائغ ، بل جميع الأمة ينهون عن ذلك ، لما ثبت في الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال " لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما فعلوه " ، قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً " [3] .

وورد في كتاب الفقه علي المذاهب الأربعة " يكره أن يبنى على القبر بيت أو قبة أو مدرسة أو مسجد أو حيطان تحدق به – كالحيشان – إذا لم يقصد بها الزينة والتفاخر وإلا كان ذلك حراما وهذا إذا كانت الأرض غير مسبلة ولا موقوفة ، والمسبلة هى التى اعتاد الناس الدفن فيها ولم يسبق لأحد ملكها، والموقوفة هى ما وقفه مالك بصيغة الوقف كقرافة مصر التى وقف سيدنا عمر رضى الله عنه ، أما المسبلة والموقوفة فيحرم البناء مطلقا لما فى ذلك من ضيق التحجير على الناس ، وهذا الحكم متفق عليه بين الأئمة إلا أن الحنابلة قالوا إن البناء مكروه مطلقا سواء كانت الأرض مسبلة أو لا , والكراهة فى المسبلة أشد ، وبذلك تعلم حكم ما ابتدعه الناس من التفاخر في البنيان علي القبور ، وجعلها قصوراً ومساكن قد لا يوجد مثلها في مساكن كثير من الأحياء " [4] .

كما ذكر إبن الرفعة في كفاية النبيه ما نصه :" قال ولا يجصص ولا يبني عليه أي قبة وبيت وحظيرة ونحو ذلك ... والمظلة ونحوها ملحقة بالبناء عليه في الكراهة ... ولا يختلف الحال في كراهية التجصيص ونحوه من التزويق وغيره بين أن يكون القبر في المقابر المسبلة أو لا ، وأما البناء عليه فالمنع مخصوص فيما إذا كان في مقبرة مسبلة " [1] .

ولا يبنى على القبر نحو قبة كبيت ولا يجصص أى يبيض بالجص وهو الجبس وقيل الجير والمراد هنا هما أو أحدهما ، كما يكره البناء والتجصيص للنهى عنهما فى صحيح مسلم. وخرج بتجصيصه تطيينه فإنه لا بأس به كما نص عليه فى الأم . وقال فى المجموع إنه الصحيح , وتكره الكتابة عليه سواء كتب عليه اسم صاحبه أم غيره ، ويكره أن يجعل على القبر مظلة لأن عمر رضى الله عنه رأى قبة فنحاها وقال: دعوه يظله عمله ، ولو بنى عليه فى مقبرة مسبلة وهى التى جرت عادة أهل البلد بالدفن فيها حرم وهدم لأنه يضيق على الناس ، ولا فرق بين أن يبنى قبة أو بيتا أو مسجدا أو غير ذلك ومن المسبل كما قال الدميرى قرافة

---

[1] المقريزي : الخطط ، ج 4 ، ص 849 .

[2] البكري : الممالك والمسالك ، 616 .

[3] إبن تيمية (تقي الدين ت : 728 هـ) : الفتاوي الكبري ، تحقيق محمد عبد القادر عطا – مصطفي عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي ، بيروت 1987 م ، المجلد الثالث ، ص 34 .

[4] عبد الرحمن الجزيري : الفقه علي المذاهب الأربعة ، ج 1 ، ص 487 . " وقال الشافعية : جعل التراب مستوياً منظماً أفضل من كونه كسنام البعير، ويكره تبييض القبر بالجبس أو الجير، أما طلاؤه بالطين فلا بأس به ، لأنه لا يقصد به الزينة ، عند ثلاثة ، وقال المالكية : طلاء القبر أحجاء أو خشب أو نحو ذلك ، إلا إذا خيف ذهاب معالم القبر، فيجوز وضع ذلك للتمييز ، أما إذا قصد به التفاخر والمباهاة فهو حرام ؛ وهذا متفق عليه ، إلا عند الشافعية ، فإنهم قالوا: يسن وضع حجر أو نحوه عند رأس القبر لتمييزه " عبد الرحمن الجزيري : نفس المرجع ، ج 1 ، ص 486 . وهو ما أورده إبن الحاج في مدخله حين قال : " وليست القبور موضع زينة ولا مباهاة ، ولهذا أنهي عن بنائها علي وجه يقتضي المباهاة والظاهر أنه يحرم مع هذا القصد " . ص 211 .

[1] إبن الرفعة : كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي ، تحقيق مجدي محمد سرور ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي ، بيروت 2009 م ، الجزء الخامس ، ص 149 وما بعدها .

مصر . قوله (ولا يبنى) أى يكره فى غير المسبلة والموقوفة ويحرم فيها كما أشار لذلك الشارح , إلا إن خيف نبشه أو تخرقه سيل له فلا يكره حينئذ . ولا فرق فى عدم الكراهة لأجل ذلك بين المسبلة وغيرها كما صرح به الزركشى [2] .

وفيما ورد من لفظ " *وسلطت المراحيض* " الوارد برسالة السفطي ربما يتبين لنا المقصود به بما أورده إبن الحاج في مدخله قائلاً : " وانظر رحمنا الله تعالي وإياك إلي هذه المفسدة التي ألقاها الشيطان لبعضهم في بناء هذه الدور في القبور ، ألا تري أن الشارع عليه الصلاة والسلام شرع دفن الأموات في الصحراء وما ذاك إلا أن الإيمان بني علي النظافة ، فإذا دفن المؤمن في الصحراء ، فالصحراء عطشانة فأي فضلة خرجت من الميت شربتها الأرض فيبقي المؤمن نظيفاً في قبره ، فلما رأي الشيطان هذه السنة المباركة وما فيها من الخير العظيم سول لهم ضدها فإذا كان عندهم ميت خرجوا بأهلهم وأولادهم إلي قبره فيسكنون في دار إلي جانبه ولابد للدار من بيت الخلاء ولابد من استعمال المياه فإذا أقاموا هناك نزلت تلك الفضلات وهي سريعة السريان في الأرض ، فتصل إلي الميت فتنجسه " ويستطرد قائلاً: " فالبناء في القبور منهي عنه إذا كانت في ملك الإنسان نفسه ، وأما إن كانت لغيره فلا يحل البناء فيها ... فإذا جعلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لدفن موتي المسلمين فيها واستقر الأمر علي ذلك مُنع البناء فيها " [1] .

سياسياً : أما سياسياً فيمكن أن نستخلص من الرسالة عدة إشارات سياسية مهمة :

<u>الإشارة الأولى</u> : الحديث الوارد بين عمرو بن العاص والمقوقس Cyrus حول جبل المقطم ، يشير إلي طبيعة العلاقة بينهما عقب إبرام وثيقة الصلح الذي تم آنذاك ، فيما يعرف بالعهد العمري ؛ ذلك العقد الذي كان شاهداً علي التسامح الديني لأقباط مصر حينئذ من قبل المسلمين * ، وهو ما شهدت به مقدمة عقد الصلح " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر ، الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم ، وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوبة ... " [2] .

وربما إعطاء عمرو بن العاص الأمان لقبط مصر فيما يختص بلفظ (وبرهم) الوارد بالعهد العمري هو ما دفع المقوقس بقوله لعمرو " *ما علي هذا صالحتني* " – كما ورد في نص رسالة السفطي – وذلك حين رفض عمرو بن العاص إعطائه سفح جبل المقطم لدفن موتي النصاري به ، وربما يفسر لنا هذا الأمر اتخاذ النصاري في العهد الروماني وما بعده لتلك المنطقة لدفن موتاهم

---

[2] حاشية البجيرمى على الخطيب (حاشية الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البيجرمي الشافعي المتوفي سنة 1221 هـ المسماة تحفة الحبيب علي شرح الخطيب المعروف بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشيخ محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي المعروف بالخطيب الشربيني المتوفي سنة 977 هـ : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي 1417 هـ – 1996 م ، الجزء الثانى ص: 566 ، 577 . وذكر في حاشية ص 566 " وقد أفتى العز ابن عبد السلام بهدم ما فى القرافة ويستثنى قبة الإمام لكونها فى دار ابن عبد الحكم ... صرح فى المجموع بحرمة البناء فى المسبلة , قال الأذرعى ويقرب إلحاق الموات بها لأن فيه تضييقا على المسلمين بما لا مصلحة ولا غرض شرعى فيه بخلاف الأحياء اهـ – إلى أن قال – قوله (مسبلة) وهى أعم من الموقوفة لصدق تعريفها بموات اعتادوا الدفن فيه , فهذا يسمى مسبلا لا موقوفا . قوله (وهدم) إلا إن احتيج إلى البناء فيها لخوف نبش سارق أو سبع أو تخرقة سيل فلا يهدم إلا ما حرم وضعه , والهادم له الحاكم اى يجب على الحاكم هدمه دون الآحاد . وقال حج : وينبغى أن لكل أحد هدم ذلك ما لم يخشى منه مفسدة فيتعين الرفع للإمام . قوله (أو غير ذلك) ومنه ما اعتيد من جعل أربعة أحجار مربعة محيطة بالقب كما فى حج , قال سم: إلا إذا كانت الأحجار المذكورة لحفظه من النبش والدفن عليه . انظر كذلك :

الشربيني (شمس الدين محمد بن الخطيب) : مُغني المحتاج إلي معرفة ألفاظ المنهاج علي متن منهاج الطالبين للإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي الشافعي المتوفي في 676 هـ ، تحقيق محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، الطبعة الأولي ، بيروت 1997 م ، الجزء الأول ، ص 540 .

كما لَا يَجُوزُ عَلَى الْمُعْتَمَدِ بِنَاءُ الْقَبْرِ فِي الْمَقْبَرَةِ الْمُسَبَّلَةِ سَوَاءٌ أَظْهَرَ بِبُنْيَانِهِ تَضْيِيقٌ فِي الْحَالِ أَمْ لَا وَهِيَ الَّتِي اعْتَادَ أَهْلُ الْبَلَدِ الدَّفْنَ فِيهَا وَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ لَهَا مُسَبِّلٌ وَأَلْحَقَ بِهَا الْأَذْرَعِيُّ الْمَوَاتَ لِأَنَّ فِيهِ تَضْيِيقًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِمَا لَا مَصْلَحَةَ وَلَا غَرَضَ شَرْعِيٌّ فِيهِ بِخِلَافِ الْإِحْيَاءِ وَهُوَ أَوْجَهُ مِنْ قَوْلِ غَيْرِهِ يَجُوزُ وَيُهْدَمُ بِلَا خِلَافٍ كَمَا فِي الْمَجْمُوعِ وَإِنْ قُلْنَا الْكَرَاهَةُ لِلتَّنْزِيهِ وَيَظْهَرُ أَنَّ الَّذِي يَهْدِمُهُ هُوَ الْحَاكِمُ لَا الْآحَادُ أَخْذًا مِنْ كَلَامِهِمْ فِي بَابِ الصُّلْحِ لِمَا يُخْشَى فِيهِ مِنْ الْفِتْنَةِ وَسَوَاءٌ فِيمَا ذُكِرَ الْبِنَاءُ فِي حَرِيمِ الْقَبْرِ وَخَارِجِهِ خِلَافًا لِبَعْضِهِمْ وَمِنْ الْمُسَبَّلَةِ الْمَوْقُوفَةِ بَلْ أَوْلَى . انظر : ابن حجر الهيتمي : الفتاوي الفقهية الكبري ، ج 2 ، ص 18 .

[1] ابن الحاج : المدخل ، ص 209 ، 210 . وهو ما ذكره المقريزي في خططه قائلاً : "وبنوا مباني اتخذوها مراحيض وسقايات ماء ". الخطط ، مج 4 ، 915 .

*** شهد أقباط مصر تحت مظلة حكم الرومان أقسي وأشد أنواع العذاب لذا وقفوا موقفاً محايداً عند فتح المسلمين مصر ، حيث وجدوا في الفتح العربي فرصة للتنفيس عما أحسوا به من ألم ومرارة بعد زمن طويل من الاضطهاد الديني علي يد الإمبراطور الروماني هرقل . انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في العصور الوسطي ، ص 25 وما بعدها . وصارت لهم القبط أعواناً كما جاء بالحديث ... ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص 56 . وعند فتح الإسكندرية آذن الروم عمراً بالحرب ، فخرج إليه المقوقس فقال أسألك ثلاثاً أن لا تبذل للروم مثل الذي بذلت لي فإنهم استغشوني ، وأن لا تنقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم ، وإن مت فمر بدفني في كنيسة بالإسكندرية ذكرها ، فقال عمرو هذه أهونهن علي . البلاذري (أحمد بن يحيي بن جابر البغدادي ت 279 هـ) : فتوح البلدان ، شركة طبع الكتب العربية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1901 م ، ص 223 .**

[2] انظر ابن كثير (الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت : 774 هـ) : البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1988 م ، الجزء العاشر ، ص 91 وما بعدها .

، وكذا ما وجدناه من كثرة مدافن النصاري في جبل طرة بالقصير الذي هو جزء من جبل المقطم ، وهو ما أكده سعيد بن بطريق حين قال " وكان للنصاري الملكية في ظاهره مقابر ومدافن " [3] ، وعلي الرغم من عدم ورود أية إشارات صريحة أو غيرها تؤكد علي ذكر جبل المقطم في الكتب القديمة للتدليل علي ذلك ، إلا أن الشيء المؤكد أن لكتابات المؤرخين وأقوالهم الدور الأكبر في توجيه أنظار الناس وعقولهم – بل كانت هي المحرك لسلوكهم ذلك المسلك – في بناء تلك المدافن والمقابر بسفح جبل المقطم .

الإشارة الثانية : هو ما خطه السفطي برسالته نقلاً عن بن الرفعة عن شيخه الظهير التزمنتي عن ابن الجميزي – المتوفي سنة 649 هـ والسابق ترجمته – قوله " *جهدت مع الملك الصالح في هدم ما أُحدث بالقرافة من البنا فقال: أمر فعله والدي لا أزيله* " وربما قصد الجميزي بمجاهدته مع الملك الصالح نجم الدين أيوب في أنه قد أشار عليه بهدم ما بناه الملك الكامل – والد الملك الصالح – من إنشائه قبة علي ضريح الإمام الشافعي لحرمة ذلك وكراهته ، إلا أن الملك الصالح أبي دون ذلك أو أن يهدم ما قد بناه والده .

الإشارة الثالثة : ذكر المخطوط أن البناء بالقرافة قد تم بعد قيام الأمير يلبغا التركماني بعمل تربة له بجوار قبة الإمام الشافعي كأول من أحدث تربة بتلك البقاع ، ونستطيع أن نجزم بأن البناء بجوار قبة الإمام الشافعي قد يسبق عهد أمراء الناصر محمد بفترة من الزمن ، وليس كما جاء بالمخطوط .

وهنا أود الإشارة إلي ما ذكره المقريزي عن قبة الإمام الليث بن سعد بالقرافة * الواقعة جنوب قبة الإمام الشافعي فيقول " ويجتمع بهذه القبة في ليلة كل سبت جماعة من القراء ، فيتلون القرآن الكريم تلاوة حسنة حتي يختموا ختمة كاملة عند السحر ، ويقصد المبيت عندهم للتبرك بقراءة القرآن ، عدة من الناس" [1] .

ويحدثنا المقريزي في موضع آخر عن المدرسة الناصرية بالقرافة بقوله: " هذه المدرسة بجوار قبة الإمام محمد بن إدريس الشافعي – رضي الله عنه – من قرافة مصر ، أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب " ويستطرد قائلاً : " ووقف عليها حماماً بجوارها ، وفرناً تجاهها ، وحوانيت بظاهرها " [2] ، وهو ما يعني أن القرافة قد بني بها العديد من المنشآت قبل أن يحدث الأمير يلبغا التركماني عصر الناصر محمد بن قلاوون تربته المذكورة .

وهو ما فسره لنا المقريزي بقوله: " واعلم أن الناس في القديم إنما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم ، واتخذوا الترب الجليلة أيضا فيما بين مصلّى خولان وخط المغافر التي موضعها الآن كيمان تراب ، وتعرف الآن بالقرافة الكبرى ، فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ابنه في سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعيّ ، وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعيّ ، وأجرى لها الماء من بركة الحبش بقناطر متصلة منها ، نقل الناس الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول الشافعيّ ، وأنشأوا هناك الترب ، فعرفت بالقرافة الصغرى ، وأخذت عمائرها في الزيادة وتلاشى أمر تلك ، وأما القطعة التي تلي قلعة الجبل فتجدّدت بعد السبعمائة من سني الهجرة ، وكان ما بين قبة الإمام الشافعيّ – رحمة الله عليه – وباب القرافة ميداناً واحداً تتسابق فيه الأمراء والأجناد ، ويجتمع الناس هنالك للتفرّج على السباق ، فتصير الأمراء تسابق على حدة ، والأجناد تسابق في جهة وهم منفردون عن الأمراء ، والشرط في السباق من تربة الأمير بيدرا إلى باب القرافة ، ثم استجدّ أمراء

---

[3] سعيد ابن بطريق : التاريخ المجموع علي التحقيق والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت 1909 م ، ص 197 . وتجدر الإشارة هنا إلي أن جبل طرا هو جزء من جبل المقطم ، ويقع ضمن نطاق مدينة الفسطاط ، حيث يقول البكري (والمقطّم ما بين القصير الى مقطع الحجارة وما بعد ذلك من التخوم) انظر : البكري المسالك والممالك ، ج 1 ، ص 613 . ويذكر سعيد ابن البطريق أن الحاكم بأمر الله الفاطمي قد (رسم في يوم الثلاثاء في ثامن من شهر رمضان سنة أربعمائة بهدم دير القصير ، وهو دير للملكية في الجبل المقطم .. " ثم عاد الحاكم فأمر " بعد الفوت بالكف عن فتح القبور وترك التعرض للموتي " ... " وهو ما أمر به الحاكم للراهب سليمان بن إبراهيم الراهب حين كتب سجلاً بالمسامحة " بالإذن له في إعادة عمارة الدير المعروف بالقصير في طرا من جبل فسطاط مصر " . انظر : سعيد ابن بطريق : المرجع السابق ، ص 197 ، 229 .

*** توفي الإمام الليث سنة خمس وسبعين ومائة أي قبل الإمام مالك بأربع سنوات ... ودفن في مقابر الصدف ، وجاء في الكواكب السيارة لإبن الزيات ما قاله القرشي من أن قبره كان كالمصطبة ثم بني عليه هذا المشهد بعد مضي الأربعين وستمائة . انظر سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ، القاهرة 1976 م ، الجزء الثاني ، ص 219 ، 220 .**

[1] المقريزي : الخطط ، مج 4 ، 915 .

[2] المقريزي : المرجع نفسه ، ص 631 . ولي صلاح الدين الأيوبي –أول أمراء البيت الأيوبي– حكم مصر في الفترة من (569 – 588 هـ / 1174 – 1193 م) .

دولة الناصر محمد بن قلاوون في هذه الجهة الترب ، فبنى الأمير يلبغا التركمانيّ ، والأمير طقتمر الدمشقيّ ، والأمير قوصون وغيرهم من الأمراء ، وتبعهم الجند وسائر الناس ، فبنوا الترب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات ، حتى صارت العمارة من بركة الحبش إلى باب القرافة ، ومن حدّ مساكن مصر إلى الجبل ، وانقسمت الطرق في القرافة وتعدّدت بها الشوارع ، ورغب كثير من الناس في سكناها لعظم القصور التي أنشئت بها ، وسميت بالترب ، ولكثرة تعاهد أصحاب الترب لها وتواتر صدقاتهم ومبرّاتهم لأهل القرافة " [1] .

الإشارة الرابعة : وهي التي أوردها السفطي وجاءت نقلاً عن ابن الحاج في كتابه المدخل ، من أن الملك الظاهر بيبرس 658 – 676 هـ " *كان قد عزم علي هدم كل ما في القرافة من البنا* " ، فوافقه وزيره بهاء الدين بن الصاحب علي ذلك ، بل وأرشده إلي ضرورة استفتاء فقهاء عصره في حينه واستصدار فتاوي في ذلك خشية حدوث فتنة ؛ *لأن* " *بها مواضع للأمراء* " ، " *فإن قالوا بالجواز فعل الأمير ذلك مستنداً إلي فتاويهم فلا يقع تشويش علي أحد* " ، وهنا نؤكد ما سبق وأن أشرنا إليه في النقطة السابقة من أن انتشار بناء القباب والأضرحة كان قبل عصر الأمير يلبغا التركماني عهد الناصر محمد بن قلاوون .

ولكن ما هي الأسباب التي لم تمكن الظاهر بيبرس من تنفيذ ما قد عزم عليه من هدم ما بني بالقرافة هو ووزيره الصاحب بهاء الدين بن حنا ؟ لاسيما وقد اتفق العلماء والفقهاء " *علي لسان واحد أنه يجب علي ولي الأمر أن يهدم ذلك كله ويجب عليه أن يكلف أصحابها رمي ترابها إلي الكيمان ، فلم يختلف في ذلك أحد منهم* " .

الواقع أنه بقراءة التاريخ عند صفحات الظاهر بيبرس ، يجد القارىء نفسه أمام أكثر فترات الحروب الصليبية علي شرقنا الإسلامي عنفاً والتهاباً ، فطوال فترة حكم الظاهر بيبرس الممتدة من عام 658 – 676 هـ ، لم تكن سوي مجموعة من الملاحم الرائعة التي سطرها بنفسه الظاهر بيبرس أذاق فيها قائدي الحملات الصليبية وجنودهم الهزائم والانكسارات ، والنكسات تلو النكسات في مصر وبلاد الشام ، نضف إلي ذلك الخطر الذي كان يتهدده من قبل المغول .

فيذكر الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور أن حروب بيبرس ضد الصليبيين كانت طويلة وعنيفة امتازت دائماً برجحان كفة بيبرس وانتصاره علي خصومه ؛ ذلك أنه لم تنقض سنة من السنوات العشر الواقعة بين 659 – 669 هـ دون أن يوجه بيبرس حملة صغيرة أو كبيرة ضد الصليبيين بالشام ... وهكذا شن بيبرس علي الصليبيين حرباً لا هوادة فيها ولا رحمة ، وفي الوقت الذي قام فيه بيبرس بمحاربة الصليبيين وانتزاع مدنهم وقلاعهم بالشام ، حارب أيضاً مغول فارس ودفع شرهم عن بلاد الشام ولم يسمح لهم مطلقاً بالتقدم غرباً خارج حدودهم بالعراق ، والملاحظ عند دراسة حروب بيبرس أنه يصعب في كثير من الحالات الفصل بين حروبه ضد المغول وحروبه ضد الصليبيين ، بسبب ما كان من تحالف قوي بينهما ضد المسلمين في مصر والشام [1] .

وهو الأمر الذي أراه كان له أكبر الأثر في إثناء الظاهر بيبرس ووزيره الصاحب بهاء الدين عن عزمهما فيما قد انتويا فعله من هدم ما بني بالقرافة ، لاسيما أنه كان في حاجة إلي مجهود كبير وشاق داخليًا ؛ وذلك لانشغالهما بما هو أكبر من ذلك خارجيًا ، وأعني التجهيز والإعداد لمواجهة تلك الحملات والتصدي لها علي النحو الذي قد يتطلب معه توفير نفقات باهظة ، توازياً مع تسخير كافة موارد البلاد للتصدي لها ووضع البلاد في حالة جهوزية دائمة واستنفار تام .

ثقافيًا واجتماعيًا : من السهولة بمكان التأكيد علي أن المدافن والمقابر بسفح جبل المقطم لم تكن لتتخذ لدفن موتي المسلمين فحسب ، بل امتد الأمر لتصبح متنزهاً ومتنفساً لأهالي القاهرة والفسطاط من العامة وباقي الطبقات من المتصوفين والعلماء وعلية

---

[1] المقريزي : الخطط ، مج 4 ، ص 851 . عن قباب قرافة المماليك .. راجع محمد حمزة الحداد : قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك (دراسة حضارية أثرية) ، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار – جامعة القاهرة ، 1988 م . يذكر أن القباب تطورت تطوراً عظيماً في العصر الإسلامي لم تشهده من قبل ، سواء من حيث أشكالها وهيئة قطاعها وتناسب تكوينها المعماري أو من حيث مناطق انتقالها من الداخل أو الخارج ، أو من حيث ما يكسوها من الزخارف بلغت الغاية في الدقة والإبداع ، وكان لبعضها أثر كبير في تطور العمارة الأوروبية . انظر : محمد حمزة الحداد : القباب في العمارة المصرية الإسلامية "القبة المدفن نشأتها وتطورها حتي نهاية العصر المملوكي ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1993 م ، ص 6 وما بعدها .

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في العصور الوسطي ، ص 455 ، 457 .

القوم من الأمراء وغيرهم الذين اتخذوا القصور والمنازل بتلك البقاع سكني لهم ، وكانت أيضاً محفلاً لتجمعاتهم وقضاء أيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية ، هذا غير زياراتهم لها للترحم علي موتاهم والتبرك بأضرحة الأولياء بها .

وكان الدافع إلي ذلك ما سبق وأشرنا إليه من كتابات المؤرخين في هذا الشأن مما جعل من جبل المقطم وسفحه لديهم جنة الله في أرضه ، وأسهم بشكل كبير في إرساء ثقافات وعادات اجتماعية بات من الصعب تغييرها ، فتجدر الإشارة هنا – علي سبيل المثال – إلي ما ذكره ابن ظهيرة في كتابه الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة في معرض حديثه عن جبل المقطم " وقال الحسن البصري : يحشر منه الشهداء يوم يحشر الخلق إلى الجبار ، (من رعاة الحق سبعون ألف ملك وشهيد ، مطهرا من ذنبه ؛ مشفعاً في القول عند ربه) . قال ابن زولاق : ودفن بمصر من أمرائها اثنان وسبعون ، أولهم عمرو بن العاص ، وآخرهم كافور " [2] .

وكذا ما أورده المقريزي في معرض حديثه عن قبة الليث بن سعد واجتماع القراء هناك لقراءة القرآن الكريم والتبرك " ثم تفاحش الجمع ، وأقبل النساء والأحداث والغوغاء ، فصار أمراً منكراً ، لا ينصتون لقراءة ، ولا يتعظون بمواعظ ، بل يحدث منهم علي القبور ما لا يجوز ، ثم زادوا في التعدي حتي حفروا ما هنالك خارج القبة من القبور ، وبنوا مبانٍ اتخذوها مراحيض وسقايات ماء " [1] .

وتأكيداً لتلك الجوانب الثقافية والاجتماعية ذكر علماء الحملة الفرنسية بموسوعتهم " وصف مصر، " ويوم الجمعة بوجه خاص هو اليوم المحدد لزيارة المقابر وتذهب الأسرة إلي هناك بأكملها فتصحب الأمهات أطفالهن ، ويتجمع هناك الأصدقاء ويجلسون حول مقبرة الفقيد ، ويتربعون علي الحصر ليتناولوا بعض ما يحملون من هبات ... وهم يذهبون إلي مدينة الموتي هذه عند شروق الشمس ، ويمضون فترة الصباح كلها في الصلوات والدعوات الدينية ، وفي هذه الأيام المهيبة يبلغ الزحام درجة تبدو معها المقابر وكأنما تقطنها جماهير غفيرة ، ويمكن أن نتخيل أحجبة النساء وهي ترفرف ، وملابس الرجال الزاهية بكل الألوان الفاقعة والمتنوعة وفخامة مباني المقابر التي تغطي السهل " [2] .

حضاريًا

نضف إلي كل العوامل السابقة ما خلفته كتابات المؤرخين من تأثيرات علي الجانب الحضاري ، والتي أسهمت بقدر كبير في تكريس ظاهرة استيطان تلك المناطق واستفحالها بهذه الصورة ، والواقع أننا لا يمكننا إغفال شغل تلك البقاع بالزهاد والمتصوفين مثل العز بن عبد السلام وابن عطاء الله السكندري وابن دقيق العيد وغيرهم الكثير ؛ لذا وأمام كل إشارات المؤرخين تلك كان طبيعياً – كما تذكر أد/ سعاد ماهر رحمها الله – أن يلجأ الزهاد والمتصوفون إلي جبل المقطم يتخذون من سفحه مقاماً ومن أوديته مناماً بعد أن عرفوا تقديس الديانات السماوية السابقة علي الإسلام له ، وتكريم المسلمين أيضاً [3] ، وهو ما يفسر لنا أيضاً كثرة القرافات والمدافن بهذا الجبل [4] .

وكذا الحال بالنسبة للأمراء والعامة ، مما أسهم من ازدياد أعمال البناء تلك ، وهو ما سبق وذكره المقريزي من قيام أمراء الناصر محمد من إنشاء قباب لهم وتبعهم الناس في ذلك " فبنوا الترب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات " وغيرها . " حتى صارت العمارة من بركة الحبش إلى باب القرافة ، ومن حدّ مساكن مصر إلى الجبل ، وانقسمت الطرق في القرافة وتعدّدت بها الشوارع ، ورغب كثير من الناس في سكناها لعظم القصور التي أنشئت بها ، وسميت بالترب ، ولكثرة تعاهد أصحاب الترب

---

[2] إبن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، ص 107– 109 .

[1] المقريزي : الخطط ، مج 4 ، 915 .

[2] علماء الحملة الفرنسية : موسوعة وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب ، الطبعة الثالثة ، وزارة الثقافة ، القاهرة 1992 م ، الجزء الأول (المصريون المحدثون) ، ص 180 .

[3] سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها ، ج1 ، ص 51 .

[4] ممدوح محمد السيد : المشاهد الفاطمية الباقية بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآثار ، جامعة القاهرة 2003 ، ص 110 .

لها وتواتر صدقاتهم ومبرّاتهم لأهل القرافة " [1] . ولقد أطنب علماء الحملة الفرنسية في ذكر مقابر القاهرة وروعة مبانيها الفاخرة [2] .

فلا مناص إذن من الاعتراف بالتأثير المباشر للمخطوطات في البناء الحضاري ، مما كان له أكبر الأثر في ترك إرثاً معماريًّا فريداً ومتنوعاً في مجالي العمارة والفنون ، آراه من أعظم ما تركته لنا تلك القرافات بكل ما تحويه ، فكان لكتابات المؤرخين تلك أثرها الحضاري البالغ في ذلك ، فالصورة إذن لم تكن قاتمة علي إطلاقها ، بل كان للأمر وجهه الإيجابي علي الجانب الآخر حيث ظهرت روائع العمارة والفنون الإسلامية من قباب وأضرحة ومقامات ومشاهد ومساجد وزوايا وخانقاوات وغيرها الكثير والكثير – التي يصعب حصرها الآن – شاهدة علي عظمة الفنان والمعمار المسلم .

ولا شك أن لمشاكل العصر الحديث أثرها الجلي في تفاقم تلك التعديات علي تلك المقابر كأزمة الإسكان والأزمات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، مما أدي بالكثيرين إلي استيطان واستعمار تلك المقابر ليتخذوا من ثناياها وأرحبتها مقراً وسكناً لهم ، فتركوا لنا – بين الكثير من العشوائيات – إرثاً معمارياً لا بأس به ، يوشك أن يندثر ما لم تتخذ إجراءات جادة من شأنها الحفاظ عليه من براثن تلك التعديات ، كأن يتم تضمين تلك المناطق ضمن مواقع التراث العالمي إلي جانب استصدار التشريعات الملزمة لحمايتها .

وخلاصة القول: إنه بعيداً عن نشر المخطوط وتحقيقه أو تحليله والتعليق عليه ، وبغض النظر عن كون الناسخ لم يأت بجديد في رسالته تلك فنقلها ضمن ما نقله عمن سبقوه من المؤرخين ، إلا أنه مما لاشك فيه كان يمثل صرخة فقهية أرادها الناسخ في حينه إدراكاً منه لما آل إليه حال قرافات مصر من تعديات صارخة – أشار إليها حينئذ – مستنداً إلي الفتاوي التي صدرت بهذا الشأن ، وأنا بدوري أجدد تلك الصرخة من خلال نشر هذه المخطوطة بعد مرور أكثر من مائتي وخمس وثمانون عاماً علي وفاة ناسخ المخطوط ، عسي أن يهتم القائمون علي وزارة الآثار حالياً بإنقاذ ما يمكن إنقاذه وما تبقي من آثار أمتنا العظيمة في تلك البقاع المباركة ، التي تحوي رفات نفر من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وكذا رفات علمائنا وأوليائنا الصالحين ، مع أملنا الأخير بإدراج تلك البقاع ضمن الخطط الحيوية الأولي بالرعاية لتطوير المواقع الأثرية .

أولاً : المصادر :

القرآن الكريم .

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت 930 هـ) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1975 م .

ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت 874 هـ) : الدليل الشافي علي النهل الصافي ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1983 م .

إبن تيمية (تقي الدين ت : 728 هـ) : الفتاوي الكبري ، تحقيق محمد عبد القادر عطا – مصطفي عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي ، بيروت 1987 م .

ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي ت 737 هـ) : المدخل ، مطبعة المتوكل ، الإسكندرية 1291 هـ .

ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، بدون تاريخ .

ابن حجر الهيتمي (أحمد بن محمد بن علي السعدي الأنصاري شهاب الدين أبو العباس . ت 974 هـ) : الفتاوي الفقهية الكبري ، جمعها تلميذه الفاكهي (عبد القادر بن أحمد بن علي المكي ت 982 هـ) ، الناشر المكتبة الإسلامية .

إبن الرفعة : كفاية النبيه شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي ، تحقيق مجدي محمد سرور ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولي ، بيروت 2009 م .

---

[1] المقريزي : الخطط ، مج 4 ، ص 851 .

[2] للاستزادة : علماء الحملة الفرنسية : موسوعة وصف مصر ، ج 1 ، ص 177 وما بعدها .

ابن زولاق : فضائل مصر ، تحقيق علي محمد عمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1999 م .
ابن ظهيرة (جمال الدين محمد بن محمد) : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق كامل المهندس ومصطفى السقا ، القاهرة ، وزارة الثقافة ، 1969 م .
ابن عساكر : تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق 1415 هـ – 1995 م .
ابن كثير (الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت : 774 هـ) : البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1988 م .
أبو صالح الأرمني (أبو المكارم جرجس بن مسعود) : تاريخ الكنائس والأديرة ، اكسفورد 1893 م .
أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبي الفدا ت 732 هـ) : المختصر في أخبار البشر ، المطبعة الحسينية ، القاهرة 1325 هـ .
البجيرمى (حاشية الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البيجرمي الشافعي المتوفي سنة 1221 هـ المسماة تحفة الحبيب علي شرح الخطيب المعروف بالإقناع في حل ألفاظ ألي شجاع للشيخ محمد بن أحمد الشربيني القاهري الشافعي المعروف بالخطيب الشربيني المتوفي سنة 977 هـ : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولي 1417 هـ – 1996 م .
البكري (أبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت سنة 487 هـ) : المسالك والممالك ، نشر دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1992 م ، تحقيق سعد غراب . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفي السقا ، عالم الكتب بيروت ، 1945 م .
البلاذري (أحمد بن يحيي بن جابر البغدادي ت 279 هـ) : فتوح البلدان ، شركة طبع الكتب العربية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1901 م .
الذهبي (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748 هـ – 1374 م) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشار معروف – محيي هلال ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولي ، بيروت 1985 م .
السبكي (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت : 771 هـ) : طبقات الشافعية الكبري ، تحقيق عبد الفتاح الحلو – محمود طناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1964 م .
سعيد ابن بطريق : التاريخ المجموع علي التحقيق والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت 1909 م .
السيوطي (جلال الدين): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، حققها محمد أبو الفضل إبراهيم في جزئين، القاهرة 1967 م ، الناشر دار إحياء الكتب العربية . والنسخة المطبوعة طبع مدينة حيدر آباد بالهند سنة 1917 م
الشربيني (شمس الدين محمد بن الخطيب) : مُغني المحتاج إلي معرفة ألفاظ المنهاج علي متن منهاج الطالبين للإمام أبي زكريا يحيي بن شرف النووي الشافعي المتوفي في 676 هـ ، تحقيق محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، الطبعة الأولي ، بيروت 1997 م .
الشوكاني (محمد بن علي ت 1250 هـ : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، بدون تاريخ.
عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، طبعة مصر ، سنة 1297 هـ .
المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولي 1997 م .المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، الناشر مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن 1416 هـ / 1995 م .
ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، دار صادر بيروت ، 1977 م .

ثانياً : المراجع :

إسماعيل البغدادي : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، المجلد الأول ، طبعة وكالة المعارف ، استنبول 1951 م.

أيمن فؤاد سيد : الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1997 م .

الزركلي (خير الدين) : الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين ، بيروت 1980 م .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ، القاهرة 1976 م .

سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر في العصور الوسطي منذ الفتح العربي حتي الغزو العثماني ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1992 م .

عبد الرحمن الجزيري : الفقه علي المذاهب الأربعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 2003 م .

عبد الستار الحلوجي : نحو علم مخطوطات عربي ، الطبعة الأولي ، دار القاهرة للنشر ، 2004 م .

علماء الحملة الفرنسية : موسوعة وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب ، الطبعة الثالثة ، وزارة الثقافة ، القاهرة 1992 م .

عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولي 1414 هـ – 1993 م.

عيسي الشماس : مدخل إلي علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2004 م .

محمد حمزة : القباب في العمارة المصرية الإسلامية "القبة المدفن نشأتها وتطورها حتي نهاية العصر المملوكي ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولي ، القاهرة 1993 م .

محمد حمزة الحداد : قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك (دراسة حضارية أثرية) ، مخطوط رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار – جامعة القاهرة ، 1988 م .

محمود محمد زكي : نحو علم مخطوطات عربي ، مجلة الفهرست ، دار الوثائق القومية ، العدد السادس عشر ، أكتوبر 2006 م .

مصطفي مصطفي السيد يوسف : صيانة المخطوطات علماً وعملاً ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 2002 م .

ممدوح محمد السيد حسنين : المراقب والتحصينات الدفاعية المجاورة لدير القصير بجبل طرة ، بحث ملقي بالمؤتمر الدولي السادس " الموروثات القديمة بين الشفاهية والكتابية والتجسيد " بمركز الدراسات البردية والنقوش بجامعة عين شمس ، القاهرة ، الجزء الأول ، 2015 م .

ممدوح محمد السيد حسنين : المشاهد الفاطمية الباقية بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة 2003 م .

(لوحة 1)

(لوحة 2)

(لوحة 3)

جزء من جبل المقطم مواجه لقلعة الجبل بالقاهرة وتظهر به علامات القطم